تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧

892.78
T24hA
C.1

محمود تيمور

حوّاء الخالدة

٢٤٨٤٣

الطبعة الأولى — ديسمبر ١٩٤٥

حقوق الطبع للمؤلف

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

أشخاص القصة

عنترة : بطل قبيلة « بنى عبس » وحامى ذِمارِها . فى الثانيةِ والعشرينَ من عمره .

عبلة : ابنة « مالك » ، تناهز التاسعةَ عشْرةَ .

مالك : من أشياخ « بنى عبس » يناهز على الستين من عمره .

الأمير عُمارة : رأس قبيلة « بنى زياد » من « كِندة » ، وافر الثّراء ، عظيم الجاه ، أكمل الثلاثين من عمره .

عَطمطم : راوية « عنترة » ومذيع شعره . يبلغ الأربعين . مرِحُ النفس ، فيكِه الروح .

هند : صفيّة « عبلة » . فى الرابعةَ عشْرةَ من عمرها .

دعجاء : صاحبة « عبلة » . فى الثامنة عشرة من عمرها .

حازم : كبير الحاشية فى بيت « مالك » . شيخ تقدمت به السن .

أم هَرِم : زوج « حازم » ، مدبّرة خِباء « عبلة » .

نجـــلاء : من صبايا الحى .

ابن فيّـاض : من قبيلة « بنى عبس » . تاجر رحّالة .

سُرافة
بُجـــير : من رجال « بنى عبس » .
ابن الزاهد

أردبيل : الآذِن فى بيت « عنترة » .

ســـيف : قنّى يحسن الغناء .

الفصل الأول

« بيداء ...

الوقت : أصيل ...

خباء « عبلة » زاه بلونه العنابى ، تحف به نخيلات ...

تتراءى أمام الخباء رحبة فى أطرافها أكمات ثلاث ...

تتراءى على مد العين أخبية متناثرة ...

« عبلة » جالسة بباب خبائها تشحذ سكيناً ، وبجانبها « دعجاء » بين يديها مغزل ...

« هند » على رأس أكمة تتطلع ... » .

عبلة « لهند » : أما تبينتِ لقادمٍ ظلّا ؟

هند : لم يقع بصرى على أحد .

عبلة : عجباً ... ماذا أبطأ به ؟

هند « وهى تحد بصرها » : كأنى ألمح بعيراً يعدو ...

عبلة : هيه ...

هند : ... يعتلى ظهرَه شيخ ...

دعجاء « لهند » : أنت كَليلةُ البصر ... عسير عليك أن تميزى العنزة من البعير ... أقبلى ... خلّى مكانك لى ...

هنـد « لدعجاء » : أخصّك اللهُ بأكثرَ من عينين ؟ « تستأنف تطلعها » : إنه لامحالةَ بعيرٌ على ظهره شيخ ...

دعجاء : ماشأنُنا ببعير الشيخ ؟ « تلتفت إلى عبلة » : أما كفى شحذاً ؟ لقد أصبحت السكينُ أحـدَّ من السيف ... أرينى ...

« تمد يدها فتجتذب السكين جذبة عاطفة ، فتصيب كفها بجرح يسير »

ويلاه ! ... كادت تَفرى يدى ...

هنـد « هابطة إلى الحياء » : هذا جزاؤك ...

دعجاء : ماأسرعَ لسانَك إلى قول السوء ...

عبـلة : أما تفرُغ لكما شاحنة ؟ .. كأنكما ضَرّتان !

دعجاء : لم يبق إلا أن تكون ضَرّتى هذه الطفلةَ الرضيع ! ؟

هنـد « لدعجاء » : أكنتِ ترضين لك ضَرة كعبلة ؟

« تشيح دعجاء بوجهها عن هند ، استصغاراً لها وزراية ، وتغيراً لمجرى الحديث »

دعجاء « وهى تتأمل السكين فى يدها » : مسنونة كشَفرة السيف ...

عبـلة : بل أحدّ ، إنى لا أفتأ أشحَذُها كل يوم .

هنـد : وفيم هذا العناء ؟

دعجاء « ضاحكة » : ألا تدركين ياطفلة ؟ إنها تشحذها لتذبحَك بها .

عبـلة « تحدق فى هند باسمة » : أراضيةٌ أنتِ بأن أذبحَك ؟

هنـد « متطلعة إلى عبلة بنظرات حب وسذاجة » : ماأطيبَ أن تذبحنى هاتان اليدان البضّتان !

« عبلة تقبلها فى رقة وحنو »

دعجاء « لهند » : أما أنا فسأجعل منك شِواء شهيًّا .

عبـلة « ضاحكة تنظر إلى هند نظرة حدب ومحبة ، وتلاطف ذقنها » : وعنترة يلتهم هذا الشِّواء ... أليس كذلِكِ ياصغيرتى ؟

هنـد : لا أحبُّ أن يأكلنى عنترة وله تلك اللحية الكثّة المهوّشة !

« تطلق عبلة ضحكة وهى تعبث بكفها »

عبـلة : حق ماتقولين ياهند ... لايحمُل بعنترةَ أن يطعَمَكِ إلا إذا أزاح عن وجهه لحيته الكثّةَ المهوّشـة ... سآتى عليها فى طرفة عين ...

هنـد : كيف ؟

عبـلة : هذه السكينُ حاضرة !

دعجاء « لعبلة » : تُحسنين صُنعا ... إن لحيته تحيله شبحا مُفزّعا .

هنـد : ولكنه بطل غَضَنْفر ... إنه فاتن النساء ...

دعجاء « لهند » : أيَّةَ نساء تعنين ياطفلة ؟ ... كأن الحىَّ لم يُرزق فتى غيرَ عنترة !

عبـلة « وقد وقفت قبالة هند ترنو إليها وتبتسم » : لله دَرُّكِ من حسناءَ .. عينان ساحرتان عجِبتُ لهما كيف لاتُحسنان الإبصار ؟ ..

هنـد : إن بصرى أنفذُ من بصر النّسر ...

عبـلة « وهى ترمق عينى هند » : لعينيكِ لون العسل المصفّى ...

دعجاء « فى دعابة وسخرية » : إن عنترة يحلو له لونُ العسل فى العيون .

عبـلة « لدعجاء » : يخيل لى أن لعينيك أنت أيضاً لونَ العسل يادعجاء !

دعجاء : أحقا ؟ ... لم أكن بهذا عليمة !

هنـد « لدعجاء » : أصابت عبلةُ فيما قالت ... لعينيك لونُ العسل ، بيد أنه العسل الكَدِر ...

دعجاء « لهند » : ماذا تقولين ؟

عبـلة « لدعجاء » : تقصِد هنـد بالعسل الكَدر العسلَ الغنىّ بشمعه الأصيل ... إن الرجال يهوَوْن هذا الصِّنف ...

هنـد : ولكنهم سرعان مايزهدون فيه !

« دعجاء ترمى هند بنظرة استنكار وترفع »

دعجاء « لعبلة » : ولون عينيك أنت ؟

عبـلة « وقد دنت من دعجاء ، تواجهها » : أُنعِمى النظر فيهما ، وتبينى لونَهما ...

دعجاء « تحدق فى عينى عبلة » : لاأستطيع أن أتبينَ لهما لونا ...

عبـلة « تضاحك » : عيناى لالونَ لهما !

هنـد « وهى تصعد بصرها فى عينى عبلة » : إنهما تزخَران بشتى الألوان الزاهيـة : فيهما خضرة المروج ، وصُفرة الذهب ، وزُرقة السماء فى صحوها ...

دعجاء « مستهزئة » : يالَلشّاعرة !

هنـد : عن عنترةَ أخذت بلاغة الشعراء ...

عبـلة « ساهمة » : عنترة ؟ ...

« تنهض إلى الربوة »

تلكِ أولُ مرة يُخلف فيها موعده ...

هنـد « وقد تبعت عبلة إلى الربوة » : أمر خطير عاق مقدَمه لامَحالةَ !

عبـلة « وقد ارتقت الربوة ، تسرح طرفها فى الأفق » : ها هى ذى الشمس تنحـدر للمغيب ، ولمـا يظهرْ له أثر ... لقـد أقسم أن يعود إلىّ بجلد الأسد ...

دعجاء : لعل الأسدَ قد تصيّده !

هنـد : ومن يحمى الذمار ، ويذود عن الحمى ؟

دعجاء : لن تعدمَ القبيلة من بنيها حماةً ياطفلة !

هنـد « لدعجاء » : وأين كان هؤلاء الحمـاةُ يوم عدَت علينا فُتّـاك بنى دُجيل الملثّمين بالحمر ، وعاثت فى أرضنا فساداً ، وأعملت فى ديارنا يد النهب والتخريب ؟ وأين كان هؤلاءُ الحمـاة يومَ كرّت على مراعينا قُطعان الذئاب الضوارى تستبيح مالنـا من إبل وأغنـام ؟ ... ألم يبرز عنترةُ لهـذه ولتلك بعزمه البتار فيردّها على أعقابهـا مقهورة فزِعـة ، على حين تسلل حماتُك هَرَبا فى شِعاب الجبل يحتمون بها احتماء الجِرذان بالشقوق ؟ !

عبلة : حسبك ياهند حسبك !

هند « مندفعة ، لدعجاء » : مَن مِن هؤلاء الحماةِ خرج ليردَّ عنا غائلة ذلك الضِّرغام العنيد الذى أَلِف أن يطرقنا كلَّ يوم ليرجِعَ بفريسة ينتزعها على أعيننا ونحن صاغرون أذلّاء ، لايملِك أحدنا أن ينال منه ثأرا ؟!

دعجاء : لم يخرجْ عنترة من تلقاء نفسه للإيقاع بذلك الضِّرغام ، وإنما أذعن لأمر من عبلة ...!

« تتضاحك »

عبلة : ماأمرتُ عنترة بشىء ، ولكنها رغبةٌ هجَستْ بها نفسى ابتغاءَ الحصول على جلد ذلك الضِّرغام ، لكى أتخذَ منه بِساطا فى خبائى ... وقد كاشفت عنترة برغبتى ...

دعجاء : فما أسرَعَ أن هبّ يُنفِذ مارغبين فيه ... الإشارة منك أمر مطاع ... ولكن اعلمى أنك بعثتِ به إلى الردَى !

عبلة : لايَعنينى إلا أن يُحْضِرَ لى جلد الضِّرغام ...

هند : سيجيئك به !

عبلة « كالمناجية نفسها » : ويحى ! ... ماذا تقول نساء الحى إذا آب عنترة صِفر اليدين مما طلبْت ؟

« يأخذ بصرها حازما وهو مقبل »

أنت هنا ياحازم ؟ ماذا وراءك من نبأ عنترة ؟

حازم : الحى أجمع فى حَيْرة من غيبته المريبة ... أخشى أن يكون قد ألمّ به مكروه ... إن الضّرغام لشديدُ المِراس !

عبلة : وأين راوية قَصِيدِهِ عطمطم ؟

حازم : شاخص على أطراف البيداء بجوار نبع الثّريا ينتظر قدومه ...

عبلة : أهذا كل مافى جَعبتك من الأخبار ؟

حازم : لقِيتُ فى طريق ركبَ الأمير عُمارةَ رأسِ قبيلة كِندة ...

دعجاء : أمير عريض الجاه ، موفور الثّراء ... مطمحُ أنظار النساء فى البادية !

هند : لِمَ لاتحتالين لِخطبته ؟

« تنظر إليها دعجاء شزرا »

عبلة « لحازم » : أيّةَ وِجهة يبغى الأمير يا تُرى ؟

حازم : يبغى مضارب خيام بنى ثعلبة ، بيد أنه سيمر بنا ليرِدَ ماءنا ... ولقد سألته عن عنترة ، فقال : لعل الضّرغامَ ابتلعه ...

دعجاء : إن شأن عنترة والضرغام قد شاع وذاع ، وملأ البِقاع ، وتسامعت به الركبان ، فى كل مكان ...

عبلة « مهمهة » : ويل له إن أخفق !

« لحازم ، فى لهجة الأمر » :

اخرج فى نفرٍ من أهل الحىّ لاستقبال الأمير عمارة ، وأكرموا وِفادَته ...

حازم : سمع وطاعة ...

« ينصرف حازم »

عبلة : إذا باء بالخيبة ذهبتْ أصداءُ قصيده الرنّان فى أدراج الرياح !

هند : أؤكد لك أنه لن يغيبَ طويلا ...

عبلة « محدثة » : لقد أخلف موعدَه وكفى !

هند : الغائب عذره معه ...

عبلة : أىّ عذر يكون ؟ لقد واعدتُ نساء الحى أن أُرِيَهن اليوم جلد الضِّرغام . وإخالهن مقبلاتٍ على خبائى بعد هنيهة . فأين جلدُ الضِّرغام أين ؟ !

هند : ألا يشفع لعنترة عندك مايقوم به ابتغاءَ مرضاتك ؟ إنه لايفتأ يغدو إليك بالحليب كلَّ يوم غيرَ متخلّف ...

دعجاء : ليس هذا بالأمر العسير ... حَمْل قَعْب من الحليب لايرهق أحداً !

هند : إن الحليبَ يحمله الخَدَم والموالى إلى السادة ... أما الفوارس الشجعان ...

دعجاء « ساخرة » : فيضربون فى الفيافى : يصرعون أسودَها ، ويسلَخون جلودها !

هند « لعبلة » : عجبت لك كيف تسمعين هذا القول ولا تتصدّينَ لدفعه ؟ أيُجازَى عنترةُ منك بأن تنالَه الألسنةُ بالسخرية

دون أن تكونى له نصيرا ؟

دعجاء « لهند » : حسبه انتصارُكِ أنت له !

« لعبلة » :

أخشى أن تكون هـذه الطفلةُ منافسةً لك فى حب عنـترة ...

عبـلة : أهلًا بها منافسةً حبيبة ...

دعجاء : ماأظنها إلا والهة مدلَّهة بحبه !

هنـد : إنى به معْجَبَة ، وإنى بهذا الإعجاب لمعتزة ... أما أنت ...

دعجاء : ماذا ياطفلة ؟

هنـد « لدعجاء » : إنه عنك فى شُغُل ... ولا أَزيدُ !

دعجاء « تضاحك » : لن أنوِّلَه فتيلا من إعجابى إلا إذا خلا وجهُه من لحيته الشعثاء !

عبـلة : كُفّا عن الكلام ... رَكْبُ الأمير عُمارة يقترب ...

دعجاء : الأمير عُمارة قادم ...

« تلتفت »

هنـد « لدعجاء » : لِمَ اللثامُ يادعجاءُ ؟

عبـلة : لتغدوَ للعيون فتنة !

هنـد : تحذِق دعجاءُ انتهازَ الفرص ...

« يبدو حازم »

حازم « جهورى الصوت » : الأمير عُمارة الكِندىّ ...

« يقبل الأمير فى حلة موشية فاخرة ، متقلداً سيفه المرصع الوضاء ، تتبعه الحاشية والأحراس »

عمارة « لعبلة » : طاب يومك يابنةَ سيد الحىّ ...

عبلة « للأمير عمارة » : طِبْتَ وسَلِمْتَ ... شَرُفت بمقدَمك الديار ، وحق لها الفخار ... ودِدت لو كان أبى حاضراً ليغنمَ لقاءك ...

عمارة : أين هو ؟

عبلة : خرج إلى الحيرة يزور ملكها المنذر ...

عمارة : يسوءنى ألا أراه ... ولكنْ فى رؤيتك عوضٌ أىُّ عِوض . سأبقى ريثما يستقِى الركب .

عبلة : حللتَ أهلا ، ونزَلتَ سَهلا ... أيها الأمير !

« تشير إليه بالجلوس ، فيجلس . تقول لحازم » :

علينا بِصحاف المَجِيع ، وجِفان الثريد ، لضيوفنا الكرام .

حازم : السمع والطاعة ...

« ينصرف حازم »

عمارة : علمت من الشيخ حازم أنكم تتساءلون عن عنترة ... يبدو أن اهتمامكم به شديد !

عبلة : وهل فى هذا من ضَير ؟

هند : إنه فتى القبيلة الهمام ، وفارسُها المقدام .

عمارة « لهند » : إنه لكذلك حقّا ... « لعبلة » : موفَّقٌ الحظِّ هذا الفتى الذى يظفَر بعطف فتياتِ الحىّ ، ولا سيما

عطف درةِ القبيلة عبلة !

عبـلة : أشكر للأمير ثناءَه ... أكبر ظنى أن عنترة عائد إلينا موفورَ الفوز ...

عمارة : إن الضرغام غَلَّابٌ غَضوب ، ماساوره فارسٌ إلا افترسه . لم ينجُ حتى اليوم من براثنه أحد ...

هنـد : سيفتِك عنترة بهذا الضرغام ...

عبـلة : لقد أقسم أن يُحضر لى جلده ، وما عهدتُه فى قَسَمه حانثا ...

دعجاء : ها قد أدبر النهار ، ولمَّا يُقبلْ عنترة ! ... لقد وعد بأن يحمل إلينا جلدَ الضرغام والشمسُ متوسطة كبدَ السماء ...

« يدخل حازم بصحاف المجيع وجفان الثريد ، فيلتف حولها الجمع »

عبـلة « متحدية » : إنه لعائد بجلد الضرغام ... لامحالة !

عمارة : عنـترة شاعر فحل ، تردّد البيدُ قصائدَه التى تغنَّى فيها بحسنك البارع ...

هنـد : إن اسم عبلةَ يسرى فى الخافقين ، يترنم به الناس فى شعر عنترة الفياض .

عبـلة : ماأسعدنى بأن أكون مُلهمتَه روائعَ القريض ...

دعجاء : وماذا يكون من أمر عنترة إذا تعطلت شاعريتُه ؟

عمارة : يَبْقَى له طول قامته ، وسوادُ لونه !

هنـد : بل يَبْقَى له حدّ سيفه البتّار ! ... ولكنه سيظلّ شاعراً ،

ولاسم عبلة ذاكراً ...

عمارة « لعبلة » : مهما يصف عنترةُ من حسنك فبين وصفِه وبين الحقيقةِ أبعاد وآماد ... إن الحقيقة تلوح له كالسراب كلما خفَّ إليها ترامت عنه ... إنه يقول :

ولقد ذكرتُك والرماحُ نواهلٌ منى وبِيضُ الهند تقطر من دمى

فوددْتُ تقبيل السيوف، لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فأين لَمَعةُ السيف من وضاءة هذه الثنايا المفلَّجة ، هذا الجُمان المنضَّدِ المتألق تألقَ ندى الفجر على صفحة الزهر ...

عبلة : لأى الأمرين جئتَ أيها الأمير : لتتغزلَ أم لتستقيَ ؟

عمارة : جئت أستق لقلبي من نبع الفتنة والسحر !

« ينظر إليها وتنظر إليه ... يبتسم كلاهما ...
كتائب الظلمة تلقى ظلها على الكون ... تظهر أم هرم » .

أم هرم : احتشدت نسوةُ الحى من أهلك وجيرتك يستطلِعْنَ نبأَ جلدِ الضرغام الذى وعدكِ به عنترة ...

عبلة « مهمهة » : جلد الضرغام ... ليتنى أستطيع أن أبسطَ لهنَّ جلد عنترة ، يستمتعن بمَرْآه ! ...

« تتوافد نسوة الحي ، فيملأن الرحبة ... تتقدمهن نجلاء »

نجلاء : ألم يأت عنترةُ بجلد الضرغام ؟

عبلة : لم يأت بعدُ .

نجلاء : إنى ليخامرنى الريب فى نجاح هذه المغامرة .

هند : أىّ ريب تقصدين يانجلاء ؟

نجلاء : من يدرى لِمَ خرج ؟ أللتصيُّد الضرغام أم لاقتناص المها والغِزلان ؟ ...

« النسوة يتبعْن ضاحكات » .

يبدو لى أنها حيلةٌ خُدع بها قلبك الرقيق !

هند « لنجلاء » : أأصابك مسٌّ بجملتِ تخلِطين ؟

عبلة : فيم هذا النِّقاش ياصويحبات ؟ الخطب هيّن ... مالنا الآن ولعنترة ولجلد الضرغام ؟ ... ألا تعلمْنَ أننا فى حضرة الأمير عُمارةَ الكِندى رأسِ بنى زياد ؟

« تشير إلى الأمير عمارة »

النسوة « عافقة أصواتهن ، يرددن » : الأمير عُمارة الكِندىّ ؟ ... الأمير عُمارة الكندى ؟ ...

نجلاء : عِمْ مَساء أيها الأمير ... شرُفت ديارُنا بمقدَمِك الكريم ...

عمارة : إن اغتباطى بكنّ فوقَ أن يوصف !

عبلة : إن قدوم الأمير علينا عيدٌ أىُّ عيد ، فلنقمْ له مِهْرَجانا يتحدث ببهجته القريب والبعيد .

عمارة : أنت تُفعمين قلبى حبوراً ، وتملئين نفسى زهواً وخُيَلاء .

عبلة « صائحة » : انحروا الذبائح ، وأوقِدوا المشاعل ، وأعدّوا

الدفوف ، وادعوا الفتى سيفاً المغنى ... اعجلوا ...

« يمضى بعض الفتيات والخدم لاحضار ماطلبته عبلة ... »

عمارة : ولماذا دعوتِ بذلك الفتى المغنّى المسمّى سيفا ؟

عبلة : ليُنشدَنا بعض ألحانه ...

عمارة : هل لى أن أتمنى عليكِ ؟

عبلة : تمنَّ ماشئت ...

عمارة : تنشدينى أنتِ أغنية من أغانيكِ العذاب !

عبلة : تريدنى على أن أغنّىَ لك ؟

عمارة : إذا عددتِنى لذلك أهلا ! ... تناهَى إلىّ نشيدٌ صاغه لكِ عنترة ، فأحسنتِ غناءَه ...

عبلة : سأنشدكَ إياه ...

هند : أتغنّين هذا النشيدَ حقًّا ؟

عبلة : وماذا فى هذا ياهند ؟

هند « مهتاجة » : أذكّرُكِ عهدَ الغائب الذى ألقَى بنفسه فى التهلُكة من أجلك ...

عبلة : ذلك الغائبُ لم يرع لنا عهده ...

« تقبل الفتيات حاملات الدفوف والمشاعل ، يليهن الفتى سيف »

هند : بعداً لهذا ... لاأُطيق أن أشهد حفلا تذبحون فيه عنترة !

« تبرح المكان مهرولة »

عمارة : عجباً لسلطان عنترة على بنات هذا الحيّ !

دعجاء : لاتعجبْ أيها الأمير ... إن فى عينيه وميضاً يفتت الصخر الأصمّ .

عبلة : أقصِروا عن ذكر عنترة ... فلنبدأ مِهْرَجانَنا ...

« تنادى » : ياسيف ...

« يتقدم الفتى المغنى سيف »

عمارة : نَحُّوا سيفاً هذا ! ... أردت أن ...

سيف : لستُ أيها الأمير بسيف قاطع ، وإنما أنا صدِيٌ مُتَألِّمُ الحدّ !

عمارة : لا أبالى السيوف على أى نحو تكون ... عَنَيْتُ أن تغنينى عبلةُ نشيدَها العذبَ الجميل !

سيف : تشركنى عبلةُ كثيراً فى غنائها ، فإذا ماالتدفعنا نغنى معاً خلتَنى عبلة وخلتَ عبلة سيفاً ، فعبلة أنا ، وأنا عبلة ... و ...

عمارة : خَسِئْتَ أيها السيف المحطم !

« عبلة تتضاحك »

عبلة : اضربن بالدفوف ياصويحبات ، واعقِدن حلْقةَ الرقص مبتهجات ... « للأمير عمارة » : سأنشدكَ مارغبتَ إلىّ فيه ...

« تنشد وعينها ترسل إليه نظرات إغراء » :

أنتِ للعين ضياءْ أنت للروح دواءْ

أنعِما ياعبلةُ أُنْسٌ لفؤادى وهناء

أنا لا يهـدأ شوقى فى بِعـاد أو لقاء
طيفُكِ المحبوبُ شُغلى فى صباح أو مَساء
حينما تَرْضَـيْنَ عنى يمـلأ القلبَ الرجاء
فإذا الدنيـا نعيمٌ وإذا الكونُ صفاء
وإذا بى فى حبـور وابتهـاج وازدهاء

« عبلة تغنى بهذه الأبيات ، والفتى سيف يتابعها فى الانشاد ، الفتيات يشتركن معها فى الغناء .

تنعقد حلقة الرقص من الفتيان والفتيات ...

الأمير عمارة تسرى فيه نشوة الطرب ، فيدلف إلى الحلقة ، ولا يلبث أن يأخذ يد عبلة ، فتتردد لحظة ، ولكنه يحملها على الرقص معه ، فتقبل عليه ...

يتراقصان على إيقاع الطبل والدفوف ...

تنبعث من الربوة على حين بغتة صيحة عالية تتلوها صيحات .

عنترة يثب إلى الحلقة ، كأنه شهاب يهوى من السماء .

الجمع فى هرج ومرج .

عنترة يدفع الأمير عمارة بجمع يده ، ويجتذب إليه عبلة ...

سرعان ماتبدو هند إلى جانب عنترة » .

عنترة « وقد امتشق حسامه » : إن كنتَ ذا بأس فادرأ عن نفسك ، قبل أن يَطيحَ سيفى برأسك !

عمارة : « وقد استل سيفه » : أتعلم من تُنازل ؟

عنترة : لا يَعنينى أن أعلم ، فلتكنْ من تكون !

عبلة « وقد تطلق محياها » : ها هو ذا جلدُ الضرغام ! ...

« تدنو من عنترة ، فتحول بينه وبين الأمير عمارة »

إنه الأميرُ عُمارة ... ضيفك ... فاعرِف واجبك له ...

عنترة « للأمير عمارة » : لِيُعْلِمْنك سبقى جزاءَ من يمتهنُ أدبَ الضيافة !

عمارة : ليس مثلى من يمتهن أدبَ الضيافة ...

« أهل الحى يلتفون حول عنترة ، ويتهامسون مهدئين
من ثورته ، مشيرين عليه أن يلتزم جانب الحلم »

عنترة « عالى الصوت » : إذن فليرتحلْ عنا ...

« يجتمع نفر من أهل الحى بالأمير عمارة ورفاقه ، فيتسارون »

عمارة : سنلتقى ياعنترةُ يوما !

عنترة « صائحا » : سنلتقى لامَناص ...

« ينصرف الأمير عمارة ومن إليه من الحاشية والأتباع . يتقدم عنترة
من عبلة صامتا قد شمخ بأنفه ، فيلقى أمام قدميها جلد الضرغام » .

عبلة « مخاطبة بنات الحى » : ذلكنّ ياصويحباتُ جلدُ الضرغام ...
تعالينَ انظرنه ... قلّبنه بين أيديكن لتتبيّنّ أن عنترة
أنجز لى وعدَه !

« الفتيات يتهافتن على جلد الضرغام يتفحصنه ، ثم ينصرفن بين
مهمهمات ومصيحات ، ولا يبقى منهن إلا دعجاء وهند » .

عبلة « لعنترة » : إيه فارسَ بنى عبس ، وسيدَ حُماةِ الحمى ! ...
من سجايا الفتى الكريم أن يمنح من بِشْر وجهه وإيناس
نفسِه أضعافَ ماتمنح يداه !

« عنترة متغضب متأفف فى صمت . . »

عبلة « متوددة » : عنترة ! ... عُنَيْترة ! ... عنيترتى ! ...

« تقبل عليه ، فيتراجع عنها متأبيا »

فارسى ! بطلى المظفّر ! ...

عنترة : وما ذاكِ ياعبلة ؟

هند « مبتهجة » : لقد تكلم ... لقد تكلم ! ...

دعجاء : وهل قالوا إن عنترة فقد لسانَه ؟

عبلة « دانية من عنترة » : فيم هذه الغضبةُ التى تمازج صوتك ؟ ... أكذا تلقى من تُحب ؟ !

هند « مبتهجة » : نِعْمَ ماقلتِ ... مرحى ... مرحى !

عنترة « لعبلة » : تنتظرين أن أُمدّ لك ذراعىّ ، وقد كنتِ منذ هُنيهة بين ذراعَى ذلك الوغد ؟ !

عبلة : ماأعظمَ حبَّكَ إياى !

عنترة « لعبلة » : وقد أنشدتِه نشيدى ! ...

عبلة « ملقية نظرة توسل إلى هند » : كرامةً لهذه الصغيرةِ فعلتُ ... ألحّتْ علىّ طويلا فاستجبت !

هند « حيرى خافضة البصر » : كان لِزاما علينا أن نرحب بضيف الحىّ ...

عبلة « وقد أمالت رأسها على صدر عنترة » : أسمعتَ ؟ ... بحقكَ عندى لَمْ أُنشدْه نشيدَكَ ابتغاءَ مَرضاته !

« تداعب لحيته »

أما زلتَ حانقاً عليّ ياطفلى الغضوب ؟

دعجاء « مغمغمة مغيظة » : يالَلْمهزلة !

« تمضى عجلة »

عبلة « ورأسها على صدر عنترة ، وهى تربت خده » : كيف باغتّنا ولم يشعُرْ بك أحد ؟

عنترة : كما باغتُ الضرغامَ فى عَرينه فلم يشعرْ إلا بأظفارى وقد نشِبَت بعنُقه ...

هند : يالك من بطل ... بكفك تَصرع الأسد ؟ !

عبلة : ماذا أبطأ بك ، وقد وعدتنى أن تثوبَ فى الظهيرة ؟

عنترة : ساورتُ الأسد وقتاً ، حتى ألجأتُه إلى عرينه ...

عبلة : ولماذا لم تصارعْه فى بَراح البيداء ؟

عنترة : خشِيت أن أُضطَرَّ إلى معاجلته بضربة سيف ، فينشقَّ جلدُه . وقد أقسمتُ أن أُسلمَ إليك الجلدَ صحيحاً لاخدْش فيه ...

هند : عجِبت كيف لم يبرأْك اللهُ أسدا ؟ !

عبلة : إنه الأسد عينُه ... تلكِ هامته الضخمة ، وذانكِ ساعداه الباطشان ... وما هذه اللحية الكثّة إلا لِبدةُ الأسد !

« تداعب لحيته ضاحكة ...

تضاحك عنترة وهند ... »

هند : « محدقة فى ذراع عنترة » : لقد ظهر الدم على ضِمادتك من نَزْ الجرح ... ألا تغيرُها ؟

عبلة : أجريح أنتَ ؟

« ترنو إلى ذراعه »

عنترة : إنها ضربة طائشة أرادنى بها الضرغام وأنا أساوره ، فلو نالتنى براثنُه بعنفها لما كان لى إلى الحىّ مَرَدّ ... !

عبلة : لقد أنجاكَ الله منها فسلِمتَ ورَجَعت ...

عنترة : رجَعت لكى تطالعَ عينى أولَ مانطالع وجهَ أميرِك عُمارةَ الكندى !

عبلة : مالنا ولهذا الأمير ؟ ... أتَغَار منه ؟

عنترة : ماأعجبَ أن تسألينى هذا السؤال !

هند : « لعنترة » : وهبتْكَ عبلةُ قلبَها ، وعن سواك صانَتْه ...

عبلة : أسامع أنتَ ؟

عنترة : هذا قولها ... !

عبلة : يا للجحود ... وقَوْلى أنا ، أما كاشفتُكَ به مرات ؟ !

عنترة : ليتك تُسمعيننى إياه الساعة ، فإنى لأملُ سماعَه ...

عبلة : « وعيناها موصولتان بعينيه » : أُحبك !

عنترة : « منتشيا » : أعيدى قولَكِ على مَسمعى ... بالله أعيدى !

عبلة : أُحبك !

عنترة : زيديني ...

عبلة : أحبك ... أحبك ...

هند : حسبكما ... ! « لعبلة » : لوطاوعتِه لما انتهيتِ من التكرار أبدَ الدهر !

عبلة « لعنترة » : إذا رغبتُ إليكَ أن تقولها لى ، فكم مرةً تستطيعُ أن تعيدَها على سمعى ؟

عنترة : أفى حاجة أنتِ إلى سماعها ؟ إن كلَّ لفظة تنبِسُ بها شفتاى فى جِدٍّ أو هزل لتنطوى على حبى إياك ، وإن كلَّ عمل أقوم به فى سفر أو حضَر ليحملُ لك خضوعَ المحب وذلَّ المستهام !

هند : هذا حق ... « لعبلة » : يكفيكِ منه أنه يحتلب النعاج بيديه ، ويباكرك بقَعْب اللبن لايتخلَّفُ أىَّ صباح ... عمل لايرتضيه لنفسه إلا الأرقاء !

عنترة « لعبلة » : أخبرينى : ماذا تبغين منى فوق احتلابِ النعاج ؟

هند « لعنترة » : وأنا ... أليس لى أن أسألكَ شيئاً ؟

عبلة : بدأ قلبُ الصغيرة يتفتح ياعنترة ... حذارِ من غَيْرتى حذارِ !

عنترة : ليتنى أجدُ الوسيلة إلى إثارة هذه الغَيْرة ... !

هند : ألا تجدنى أهلا لأن أثيرَ غَيْرتها ؟

عنترة « لهند » : ماأحبَّ إلىّ أن تكونى لذلك أهلا ...

« مداعبا » : سلى مابدا لكِ ؟

هند : أسألك أن تُحضر لى ... أن تُحضر لى ... ! « متحيرة »

عبلة : أحضر لها أسداً ...

هند « صائحة » : أجل ، أسدا ... أسدا ...

عبلة : أسداً من عجوزة !

عنترة « متصايحا » : من عجوزة ؟ لا ، لا ... إنك تعجزيننى ياهند !

« يتضاحكون »

عبلة « متدللة » : إن لى إليكَ مطلباً !

هند : سوى جلدِ الضرغام ؟

عبلة « لعنترة » : إنه المطلبُ الأخير ياعنترة ...

هند : مطالبكِ لاتنفَد !

عنترة « لعبلة » : أفصِحى عن حاجتك ، فِداكِ روحى ...

عبلة : وعدتُ بهذا المطلب بناتِ الحى كلَّهن .

عنترة : ماهو يافتَّاتى ... ؟

هند « لعنترة » : تجعل الجبل ينتقل إليها وينقاد لها انقياد البعير !

عبلة « لعنترة » : ليس مطلبى عليكَ بعزيز ...

عنترة : من أجل عينيك كلُّ صعب يهون ...

عبلة « تداعب لحيته » : مطلبى أن ... أن ... تحلِقَ لحيتك !

عنترة « دهشا » : لحيتى ؟ .. لحيتى أنا ؟

عبلة « وما برحت تلاطف لحيته » : نعم ، لحيتكَ أنتَ ، لحيتك هذى !

عنترة : لم أفطن إلى ماتقصدين !

عبلة : الأمر جلىٌ ياعنترتى ... أردتُ أن تحلِقَ لحيتك من أجلى ...

عنترة : ولِمَ ؟ ... لم ؟ ...

عبلة « فى دلال » : إنها كالدَّغلِ المشتبك ، شعرُها كسنون النصال ، لطالما آذانى ...

عنترة : ولكن ... ولكن ...

عبلة : أتُحبنى ؟

عنترة : أفى ذلكِ ريب ؟

عبلة : فلتحلِقْ لحيتك إذاً .

عنترة : أما من ذلكِ بد ؟

هند : لابدَّ من ذلك لابد ... لترى عبلةُ مبلغَ حبِّك إياها !

عنترة « لهند » : أيتها الماكرة الصغيرة ... هيهات أن أُحضرَ لكِ الأسدَ المصنوعَ من العجوة ، بل سأُحضر لك شِبلا فَطِيما يتسلل إلى خِبائك ، فيلاعبك ببرائنه اللطاف ! ...

عبلة « لعنترة » : علام عوَّلتَ ؟

عنترة : سأتدبر الأمر ...

عبلة : الأمير حُمارة لم يتوانَ فى الإذعان لما أردتُ !

عنترة : أحَلَق من أجلكِ لحيتَه ؟

عبلة : كاد يفعل ، لولا أنكَ هبطتَ علينا بغتة ...

هند « وقد تناولت سكين عبلة من مكانها » : بهذه السكين أوشك الأمير عمارة أن يحلق لحيته !

عنترة « وقد انتزع السكين من هند » : هاتيها ... « يتحسس لحيته مبتسما » : حقًا إنها للحية كثة بغيضة ... شعرها كالنصال ! « لعبلة » : لطالما آذتْ وجنتك الغضة ... سآتى عليها ... ولكن بشرط !

عبلة « فى تأثر وصلابة » : بل دون أى شرط ...

عنترة « صائحا » : قبلت !

« يهرع إلى الخباء ، فيغيب فيه ...

يبدو عطعطم راوية عنترة »

عطعطم « محييا عبلة وهند على نحو يثير المرح » : أميرتى الفاتنة عبلة ... طفلتى الظريفة هند ... كيف حالكما ؟

عبلة : أحسنُ حال ... وأنت ياعطعطم ؟ ...

عطعطم : شَقينا زمناً بمصاولة ذلك الضرغام العَتِى ... ثم أصبنا منه سَفتلا بعد لأْى ...

هند : أكان لكَ فى القتال نصيب ؟

عطعطم : أفى ذلكِ شكّين ياظريفتى ؟ .. دل غاب عنك أن عطعطما يحسن الصيدَ فى الفلوات ، وامتشاقَ الحسام فى ساحةِ الوغَى ؟

هند : ماعهدناكَ إلا راويةً لعنترة ... تختزنُ فى صدرك قصيدَه الرائع !

عبلة « لعطمطم » : وتلازم ركابَه طوالَ يومك ...

عطمطم : ولكن لا تَنْسَىْ ياأميرتى أننى أيضاً عَضُدُه الأيمن فى الطعان والضِّراب !

هند ... : وأين كنت يافارسى المغوار حين مضى عنترةُ يواثبُ الأسد ؟

عطمطم : كنت أجوب الوِهاد والنِّجاد هنا وهنالك ناهضاً رمالها وصخورها أقتفى أثر ذلك الضرغام الشَّرود ...

هند : بل كنتَ منزوياً خلف صخرة مشرفة ترقب منها عنترة وهو يصاول الأسد ... لقد عثروا بك وقد أخذ الفزع منك كلَّ مأخذ !

عطمطم : كَذَبَ المُرْجِفون ... « لعبلة » : أتصدقين بربكِ هذه الفِرْيَةَ ؟

عبلة : إنى أصدق فيكَ أمراً واحداً ياعطمطم ...

عطمطم : هو أننى سيف عنترة المُصْلَتُ على رقاب أعدائه ...

عبلة : بل أنك الطبل الأجوف يقرعه عنترة فيملأ الجو بالدَّوِىِّ الصاخب !

عطمطم : مولاتى الفاتنة تغمِط حقى وتبخَسُنى قدرى ... آنَ لى أن أغضب ... هأنذا غضِبت ... سأرفع إلى مولاى

ظُلامتى ... أين هو ؟

عبلة : دخل عنترةُ الخِباء ...

عطمطم : ماله وللخباء الساعة ؟

هند : ذهب يُخَفِّفُ قليلا مما عليه ...

عطمطم : أيُزْمع التخفيف من ثيابه وقد أقبل الليل ؟

عبلة : لن يخففَ من ثيابه ... تربتْ ترعجباً ياعطمطم ...

هند : أيّ عجب ؟

عطمطم « لعبلة » : أصدُقينى : أين عنترة ؟

عبلة : ألم أقل لك فى الخباء ؟

عطمطم : إنى ماضٍ إليه ... « يهم بالسير »

عبلة « تردّه » : هو عنك فى شُغُل ، فالبثْ مكانك !

عطمطم : لايشغَلُ عنترةَ عنى أىُّ شاغل ... « يهم بالسير »

عبلة : قلت لك البثْ مكانَك ... إن فى يده سكيناً أحدّ من حسامه « الظامئ » ...

عطمطم : أيقاتل بها ضرغاما آخرَ ؟

عبلة : يقاتل بها لَبُوَةً عانية يتضاءل إزاءها الضرغام خزيا وصَغَاراً ...

عطمطم : يالَلعجب ! ...

عنترة « من داخل الخباء » : عبلة ... عُبيلة ... عُبَيْلتى !

عبلة : ألم تأت بعدُ على تلك العدوّةِ اللَّدود ؟

عنترة « من داخل الخباء أيضا » : إنى أقذِف بها فى عُرض الخباء ... لارجعةَ لها بعد الآن !

« عطمطم يستمع دهشاً ،
بعد لحظة يبدو عنترة حليق اللحية ، باسطا لعبلة ذراعيه »

عنترة : كيف تَرَيْنى ياعُبَيلة ؟

« تحدق فيه عبلة صامتة ، ثم تهفو على شفتيها
ابتسامة يلمح فيها عنترة وميض السخرية »

أسألك : كيف تَرَيْنَنى ؟

« عطمطم فاغر فاه ، شاخص ببصره إلى عنترة » .

عبلة « فى فتور » : أتريد الحق ؟

عنترة : قولى ... قولى ...

عبلة : لم أكنْ أُقَدِّرُ أن تستبينَ على محياك سماتُ الأنوثة على هذا النحو ...

عنترة : ماذا تقولين ؟ !

هند « لعنترة » : شدّ ما كانت لحيتُك تُخفى منك هذه الوسامة !

عنترة « لهند ، فى حيرة يشوبها الغضب » : أمنى تسخرين ؟

هند : وحقّك ما كَذَبْت ولا سخِرْت !

عنترة « لعبلة » : أفصحى ... تكلمى بغير مابدر منك ...

عبلة « لعنترة » : ليتنى مارغبت إليك فى أن تنزِع هذه اللحية المَهيبة !

عنترة : ألم يكنْ شعرها كمسنون النصال تتأذّى به وجَناتك النضرات ؟ ...

عبلة : ولكنها عُنوان الرجولة ، ومظهر الفتوة ...

هند : متى كانت الرجولة بالشوارب واللّحى ؟

عنترة « لعبلة » : أخطأتُ إذن فى الاستجابة لك !

عبلة : لست أدرى ...

عنترة : كيف ؟

عطمطم « بعجبا » : يا لله من ألاعيب النساء !

عنترة « لعطمطم » : وأنت ... ماذا ترى منى ؟

عطمطم « متلعثما » : أرى ... أرى ...

عنترة « صائحا » : تكلم ! ...

عطمطم : أرى عنترةَ ... وكفى !

عنترة : حَلفْت لتصارحَنّى برأيك فىّ ...

عطمطم : ما كتمت عنك رأيى قط ...

عنترة : إنك لتكتُمُه عنى الساعةَ ...

عبلة « لعنترة » : ليس فى طوقه أن يجاهرك بجليّة رأيه ... عطمطم بالرثاء خليق !

عنترة : بل بالعقاب جدير !

عطمطم : مولاى ...

عنترة « وقد مد يده بالسكين لعطمطم » : أدخل الخباء وانْزِع عن وجهك ورأسك كلَّ شعرة فيهما ...

عطمطم : مولاى !

هند : أيحلِقُ شعر رأسه ولحيته وشاربه جميعاً ؟

عنترة « صائحا » : وحاجبَيْه أيضاً ! « لعطمطم » إياك أن تخرجَ إلينا وفى وجهك ورأسك شعرةٌ واحدة ...!

عطمطم : ناشدتك الله أن ترحَمَنى ...

عنترة « يلقى إليه بالسكين » : انصرف عنى ، وأْتَمِرْ بأمرى !

« عطمطم يتناول السكين بيده ... يمضى إلى الخباء ، وهو يجر قدميه جرا ... »

هند « تلحق بعطمطم » : لاتجزعْ ... سأُعينك على أمرك ... اطمئن إلىّ !

عطمطم « وقد وضع على كتفها يده » : بورك فيك .

« يمضيان ... »

عنترة : خدعتِنى يا عبلة ! إلى متى تسومينى هذا العذاب ؟

عبلة : أىّ عذاب سُمْتُك ؟ أهو التماسى منك أن تحققَ لى بعض الأمانىّ الهينات ؟ أهو اختصاصى إياك بحبى ، وبَوْحِى لك بمكنون قلبى ؟ أهو إباحتى لك أن تُشبِّب بى حتى تناثرتْ فىّ الأقاويلُ . وأصبح اسمى حديثَ الناس ومُضغة الأفواه ؟

عنترة : لقد بذلتُ كثيراً من أجلكِ !

عبلة « ساخرة » : بذلتَ كثيراً ... لحيةً شعثاءَ إن فقدتَها اليوم فلن تفقدَها غدا ، وجلد ضِرغام قدّمته إليّ لا يتعذر على أحد من مقاتِلة الحى أن يأتىَ بمثله : ذانِكَ كثيرُك الذى بذلتَه من أجلى ... أما أنا فمن أجلك بذلت أعزّ ما تَضَنُّ به كل فتاة على أى أحد ... بذلت سمعتى ... سمعتى !

عنترة : حَرَصْتُ على أن أسبغ عليك صفات البهاء والرُّواء !

عبلة : ولكنك حَرَصْتَ أول ما حَرَصْتَ على أن تبلغ المجد بُسلَّمٍ أعددتُه لك ... بل إنى لأدفعك إلى الصعود فيه دفعا ... لولا شغفك بى لما سَمَتْ همتُك إلى خوض موقعة ، ولما جادت قريحتك ببيت من قصيدك الرنان ... بئس جحودُك فضلى !

عنترة : كيف أجحد فضلك ، وأنت منيتى ، وحبك ملء جوانحى ؟

عبلة : لَشَدّ ما يُسيء إليّ هذا الحب ... ما كان أغنانى عنه !... صار اسمُ عبلة نَهْباً للنادر والسمر ، تلوكه الألسن ، ويتقوّل عليه الأفاكون ...

عنترة : حسبك ... ما أرى لى إلا أن أرحلَ عن هذه الديار ، حتى تخْرَسَ تلك الألسن ...

« فترة صمت ... تدنو عبلة من عنترة ، وتجلس بجانبه ... »

عبلة : أتتركُ الحى ؟ تتخلّى عن عبلتك ؟ ... من يدرأ إذن عن القوم غارةَ المعتدى ؟ ومن يذود عن عبلةَ عيونَ الطامحين من

الرجال ؟ ... حقًّا لقد صدق الأمير عُمارة الكِنْدِى !

عنترة : ماذا قال ؟

عبلة : قال : « ستصبحين يوما فلا تَرَين لعنترة فى ديارك من أثر ... ليهجرنّك لا محالة ... » لقد أسرفتُ يا عنترةُ فيما أمّلتُ منك !

« تباكى ... »

عنترة : على الرغم منى أُزمع الرحيل !

عبلة : كيف تُسوِّل لك نفسُك أن تهجرَنى ؟

عنترة : ما دام هذا الهِجرانُ يَكُمُّ عنك أفواه المتقوِّلين !

عبلة : صمتاً يا قاسىَ القلب ... « تباكى ... »

عنترة « فى ضيق وحيرة » : أما وقد كان من أمر شعرى فيك ماكان، فليس لنا إلا حيلةٌ واحدة !

عبلة : أية حيلة ؟

عنترة : الزواج ...

عبلة : أتمزح أم تقول صدقاً ؟

عنترة : الأمر جِدّ ... نتزوج الآن ... الساعة ... على الفور ...

عبلة : ولكن ... لم هذا التعجّل ؟

عنترة : إن ألسنة الناس قد ...

عبلة « مقاطعة » : أخطبنى إلى أبى أولا ...

عنترة : أوّاه من هذا التلكؤ ...!

عبلة : لا تَخْلَص من أن تخطبَنى أولا ...

عنترة : أبوك الآن فى الحِيرة يفدِ على المنذر ...

عبلة : ننتظر أوْبته ...

عنترة : لا انتظارَ ولا تسويف ... إنى خاطبُك إلى نفسكِ ... أترضيْنَنى بعلا ؟

عبلة : رضِيتك ... ولـكن ...

عنترة : وماذا بعد ؟

عبلة « رانية إليه » : ليس انتظارُ أيام معدودة بـكثير ...

عنترة « صائحا » : لمـاذا ؟

عبلة : حتى تَنْبُتَ لحيتك ، وتملأَ عارَضيك !

عنترة : لحيتى ؟

عبلة : أتحسَبنى أتزوج غلاماً أمرد له خدّ أملس ؟ !

عنترة : واعجباه !

عبلة : لاتعجب ... أمر الزواج لا يُبرم فى طرفة عين ... هناك مايشغَل بالى غير هذه اللحية ...

عنترة : بأى شىء بالك مشغول ؟

عبلة « توسد رأسها صدره ، وتداعب خده » : أخشى أن أفضىَ إليك بخبيئة نفسى ، فلا تقرِّنى على رأيى ! ...

عنترة : أفصحى ... كل ماتلفظينه من قول حبيبٌ إلىّ !

عبلة : ياأملى العظيم ... أنصِتْ لى ... كاشفتْنى أمى حين حضرتها

المنية بأننى لن أوفقَ فى زواجى إذا لم يُهْدِ إلىّ بعلى يوم الزفاف حجر الزبرجد ... !

عنترة : مطلب يسير ... الأحجار الكريمة ملء الأسواق ...

عبلة : إنه حجر عزيز المنال ، ماأظنه يُعرض فى الأسواق ... على أننى لاأرتضى أن تجلب لى حجراً تداولته قبلى أيدى الحسان . بل أشتهى حجراً يحمله حبيبى إلىّ من موطنه الأصيل !

عنترة : وأين موطنه ؟

عبلة : أرانى مغالية فيما أريد ، فلنرجئْ الزواج ، حتى يَرْجِعَ أبى ...

عنترة : أخبرينى أين موطن حجر الزبرجد ؟

عبلة : على مَسِيرة شهر وبضعة أيام ... فى أقصى بلاد فارس !

عنترة « مغمغما » : أقصى بلاد فارس ؟ ...

« بصوت واضح » أنت تحتالين لتُقصينى عنك ... !

عبلة : بل تمنيتُ أن تجيبَنى إلى رغبةٍ تعلقتْ بها نفسى ...

عنترة : طالما أجبتُك إلى رغبات كِبار !

عبلة : إنك لَتَمُنُّ علىّ ... وإنك لتضيق بمطالبى ... لقد صدق الأمير عُمارة الكندى إذ قال ...

عنترة : ألا فلتنسفْ الصواعقُ أميرَك الكندىَّ نسفاً !

عبلة : هدِّئ من رُوعِك ... ولتنس مارغبتُ إليك فيه ...

« لحظات صمت ... تنشد عبلة القطعة التالية » :

أنتِ للعـــين ضياءْ أنت للروح دواءْ
أنت ياعبـــلةُ أُنْسٌ لفـؤادى وهنـــاء
حينما تَرْضَـــيْنَ عنى يمـــلأ القلبَ الرجاء
فإذا الدنيـــا نعيمٌ وإذا الكونُ صفاء
وإذا بى فى حبـــور وابتهـــاج وازدهاء

عنترة : لماذا تُنشدين هذه الأنشودةَ الآن ؟

عبلة : أطلب بها سلوةً لفؤادى !

عنترة : قلبى لم يعد يهفو لتلك الأنشودة ... إنى عنك مرتحل .

عبلة : إلى أين ؟

عنترة « وهو يلقى إليها نظرة مبهمة » : إنى عنكِ مرتحل ... وكفى !

« يظهر عطمطم حليق اللحية وشعر الرأس ...
تظهر خلفه هند ... يلتفت إليه عنترة ... » .

... إلىّ ياصديقى الوفىّ إلىّ ، سنرتحل معاً ، سنفارق هذه الديار ...

هند : ترتحلان ؟ ... لماذا ؟ ... ومتى تعودان ؟

عنترة « وقد أحاط ساعده بعطمطم ، يقول لهند » : سنعود حين تعود إلىّ لحيتى ، ويكتسى وجه عطمطم بالشعر الغزير ! ...

« ينصرفان ... »

الفصل الثانى

« المنظر السابق عينه .
عبلة جالسة على صخرة قبالة خبائها ، منشرحة الخاطر تفكر ،
تنهض متهادية فى سيرها ... »

عبلة « ترنم » : فيا نسماتِ البان بالله خبّرى
عُبيلةَ عن رحلى بأىّ المواضع
ويا برقُ بلّغها الغداةَ تحيتى
وحَىّ ديارى فى الحِمَى ومضاجعى

« يقدم مالك أبو عبلة ...
يسمعها ترنم ... »

مالك : لا تفتئين تذكرينه !...

عبلة : أبتِ !

مالك : حال الحوْل على ارتحاله وما برح لسانُك لاهجاً بشعره ...!

عبلة : إن هذا الشعر وجِيبُ قلبه يبعث به إلىّ مع النسيم ...

مالك : أو مع البروق و الرعود ...

عبلة : أصبح اسمى ملء الدنيا وشُغْلَ الناس ، يطوف به الشعر فى سماوات فارس وبلاد الروم ، يعبُر الأنهار والبحور ، وهو حيثما نَزَلَ يترك نفحةً من عطره ، ثم يَحُلُّ بعد طول التَّطْوَاف هذه البادية ليهبط على صدرى فيستقرَّ من قلبى فى مستودعه الأمين ...

مالك : وما انتفاعكِ بهذا كله ؟

عبلة : أليس هذا ربحاً عظيما ؟

مالك : إنه لربح ... فى عالم الأوهام !

عبلة : لولا الأوهام يا أبتِ لما قامت للحقائق أوزان ...

مالك : كلام أجوف لقّنك إياه عنترةُ فأحسنتِ ترديده ... خبّرينى : ماذا بعدُ فى غيبته ؟ أخشى أن يكون قد أدرك الفتورُ حُبَّه !

عبلة : إذن ما بالُ هذه الرسائلِ التى تتواتر علىّ ؟!

مالك : الرسائل التى يبعثها إليك مع الريح والبرق والرعد !... إنها تحيات عابرة ... تحيات قديمة تقطع الطريقَ إليك فى أشهر طوال ... ما عِلْمُك الآن بالجديد من أخبار عنترة ؟

عبلة : وفىٌّ فى حبه ، لا ينقطع لحظةً عن التفكير فى عبلة . وهو يجوبُ الأقطار باحثاً منقباً عن حجر الزبرجد ...

مالك : لو كان فى رأسه مُسْكَةٌ من عقل لما راح يطوى رِحابَ الأرض طلباً لهذا الحجر !...

عبلة : لقد آثر الرحلةَ والاغتراب ابتغاءَ مرضاتى ...

مالك : كان فى وُسعه أن يبلغَ رضاك دون أن يفارقَ الديار ...

عبلة : لقد أمرتُه فأتمر ...

مالك : لا أُحِبُّ الرجل ينصاع لفتاة تعبث به عبثَ الرياح بأغصان الشجر ... إن رجلاً هذا شأنُه لا يُرْجَى منه خير !

عبلة : أنا أعلم منك يا أبتاه بأصناف الرجال ...

مالك : عبلة ! ... أنتِ بنفسك معتدَّة ، فاحذرى أن يوردَكِ الغرورُ موارد الشطط ... أتعلمين إلى أىّ المجاهل طوّحتِ بهذا الشاعر المِطواع الخَنوع ؟...

عبلة : أعلم أنه يرتاد أصقاعا تحفّ بها المخاطر ...

مالك : وقد يلقَى بها حتفَه !

عبلة : لا يلقَى حتفَه من يلهج لسانُه باسمى ... إن اسمى تعويذةٌ ترُدّ عنه الغوائل ...

مالك : حتى غوائل الحب ؟

عبلة : لن يُحبّ سواى ... إن قلبه فى يدى !

مالك « متضاحكا » : أوَ ترك قلبه عندك رهينة ؟

عبلة : بل تركه مِلْكَ يمينى !

مالك : عذارَى الروم يا عبلة يَسبِينَ الرجال بأجسامهنّ البضة المُشْرَبِ بياضُها بحمرة الشفق !

عبلة : لن تقعَ عينُه على أجملَ منى ...

مالك : حِسَانُ فارس يجتذبن المهجَ بسحر عيونهنّ اللواتى تتجمع فيهن ألوانُ قوسِ قُزَح ...

عبلة : لن تقع عينه على أفتنَ من عينى ...

مالك « يربت كتفها » : ستلبثين ياعبلة غَرِيرَةً غافلة ، حتى يَجيئَكِ عنترةُ يوما بمن تخيّرها دونَك زوجاً . وإذن يتبيّن لك أنك فقدتِه !

« يصمت لحظة »

كما تفقدين الآن الأمير عُمارة ... !

عبلة : الأمير عمارة ؟

مالك : عظيم قومه جاهاً وثَراء ، وقى عشيرته وسامة وكياسة ...

« يدنو منها » ذلك الذى هفا إليك فؤادُه فكان حظُّه منك التمنُّعَ والصدود ...

عبلة : لم أُدرك أن الأمير أولانى نظرةَ عطف ...

مالك : بل أدركتِ ... ولكنك تُباعدين بينك وبينه إبقاء على ذلك الأسود الخشِن الذى لم يعد يصلح إلا هُولَةً يتفزّع منها الأطفال !

عبلة : لاتنس ياأبتِ أن ذلك الأسود الخشن هو سيفُ القبيلة البتار ، وقلبُها الخفاق ...

مالك : وأين منا اليوم ذلك السيفُ وهذا القلب ؟ ... إنه يتخبّط

فى مجاهل الأرض لايعرف له أحدٌ من قرار ولا سَكَن ، وقد نَسِينَا فنسيناه ... أما الأمير عُمارة الكِندى فهو منا على مقرَبة . وقد جاءكِ الآن خاطباً ، فماذا تقولين ؟

عبلة : وهل خطبنى الأمير خِطبة صريحة ؟

مالك : قدِم علىّ أمسِ يتبين الأمر ، ويرغب فى قولٍ فصل ...

عبلة : أرجو منك يا أبتِ ألا تتعجلَ فى إجابة الأمير إلى طِلْبته ... بعضُ الروِيّة خير !

مالك « بعد صمت قصير » : يلوح لى أنه بدعجاءَ مُعْجَب .

عبلة : بدعجاء ؟!

مالك : إنها لقادرة أن تَسبِيَه ...

عبلة : إن كان الأمير يهوانى حقًّا ، فلن تفتنَه دعجاء !

مالك : اعلمى ياعبلةُ أنه سيختارها زوجاً إذا رددتِه ورفضتِ خِطبته !

عبلة الأمير ياأبت لايضمِر لى فى قلبه حبًّا ... كيف تسنّى له أن يفكر فى دعجاءَ وهو لى مُحِبّ ؟

مالك : إنه يقبلها زوجاً ليكيدَ لك كيداً ... سيُغدق عليها من ثرائه وسلطانه مايجعلها أميرة البيداء !

عبلة : إنها وسيلة للانتقام وضِيعة لايرضاها لنفسه إلا خِفَافُ الأحلام ... ماأحسَبُ عنترةَ يلجأ إلى ذلك مهما يكن من أمرى معه !

مالك : إذن أنتِ تريدين الأمير على أن يظلّ أبدَ الدهر شقيًّا بك : يخطب ودّك فتتصامَين ، ويتعذب فى سبيلك وأنت عنه تتشاغلين !

عبـلة « مزمومة » : هو الحبّ يا أبتاه ...

مالك : إن الأميرَ لأرجحُ عقلا من أن ينصاع لمثل هذا الحب ... سيتزوج دعجاء ويَرُوضُ قلبه على أن يسلوَك وينساك ...

عبـلة : شأنه وما يريد !

مالك : ثم ماذا ؟

عبـلة : أنت على إسعادى حريص ... فناشدتُكَ الله أن تُبلِغَ الأمير ردّى إباه ...

مالك : ما أرى سعادتَكِ إلا فى زواجك بالأمير ...

عبلة : أحببتُ عنترة ، وسأبقى لحبـه وفيّة ، ولعهده صائنة ... إنّ بين جنبىّ قلباً !

مالك « يفكر لحظة » : سنتدبر الأمر ...

عبلة « فى عزم » : إنى أمينة على حبى ، وهيهات أن أخونَ قلبى ...

مالك « يدنو منها ، ويلاطف خدها » : لا نسارع إلى رفض خِطبة الأمير ...

« تنصرف عبلة ، فيتبعها مالك بنظرات حنو وحيرة ...

يقبل سرافة ... »

سرافة : شيوخ القبيلة يتفقّدونك ، ويتساءلون : أين أنت ؟

مالك : وفيم ؟ هل جدّ من أمر ؟

سُراقة : لتبرموا الرأىَ فيما شجرَ من خلاف بيننا وبين بنى فُهد ...

مالك « ضجرا » : ليسوا فى حاجة إلى رأيى ... فلْيُنْفِذُوا ما يشاءون !

سُراقة « يصعد فيه النظر منبهة » : ما بك ؟ أمجهود أنت ؟

مالك : لستُ بالمجهود ... لا شىءَ بى ... لا شىء !

سُراقة : أنت مهموم وربِّ الكعبة !

مالك : أكذلك تجدنى ؟

سراقة : عيناى لا تَكْذِبَانِنِى !

مالك : وهل تجهل سببَ همى ؟

سراقة : من أين لى أن أعلمَه ؟

مالك : ألم يصادفْك فى طريقك إلىّ شخص ذاهب ؟

سراقة : صادفَتْنى عبلة ...

مالك : وتسألنى بعد ذلك : فيم همى ؟

سراقة : ماذا كان من شأنها معك !

مالك : إن لها رأساً صُلباً لا يلين ...

سراقة : وأنت يا مالك لك قلب ليِّن لا يَصْلُبُ إزاءها أبداً ...

مالك : ماذا تريدنى أن أصنع ؟

سراقة : كن لها أبا ... أباً شديد المِراس ... أباً كسائر الآباء تحت سماء هذه البيداء !

مالك : أفاتَك يا سُراقة أنها وحيدتى ، وأنى رُزِئْتُها وقد أوفيتُ

على الأربعين ، وأنها ...

سُراقة : فقدتْ أمها وهى طفلةٌ رضيع ، فحُرِمتْ حنان الأمومة ... ولكننى آخذ عليكَ أنك جاوزتَ فى الرِّفق بها والتدليل لها حنان الأمهات ... أنسيت يامالك أنك أغضيت على تشبيب عنترة بها حتى ملأ شعرُه الأصقاع ، ثم أَبَحْتَ له أن يتحدثَ فى خِطبتها وقد ذاع من أمر هواه معها ماذاع ، فتمردتَ على عُرف الأسلاف ، ولم تعبأ بسنَّة الأعراب ؟ !

مالك : ألا بُعداً لهذا الأسود الثرثار ... طالما أقضّ مضاجعى بما خاض فيه من لَغْوِ الحديث !

سراقة : كما أقض غيره مضاجعَك من قبل ...

مالك : من تقصِد يا سُراقة ؟

سراقة : أنسيتَ جُنْدَبا والعَطَّافَ وابنَ الضحضاح ... أولئك الذين شَغَفَتْهُم عبلةُ حبا ، ثم أورثتهم شقاء ، ولم تجب لهم سُؤْلا ! ...

مالك : إنى لأعجب لماذا لم أضطرّها إلى الزواج بابن الضحضاح ؟ ... فتى عزيز الجانب ، عالى الهمة ، كريم المحتد ... ذكّرتنى ياسراقة ... لأُرْغِمَنّها على الرضا بالأمير عُمارة ، حتى لا يُفلِتَ من يدى ...

سراقة : لقد أوفَتْ عبلة على العشرين ، وما انفكّت تلهو بقلوب الفِتيان ! ...

مالك : لا يروقها إلا ذلك الأسودُ البغيض ...

سُراقة : أخشى أن يتطاولَ عليها الأمد ، فتبقى عانسا ، لا يأبه لها أحد ... !

« يبدو بجير ... »

بُجَيْر « لمالك » : شيوخ القبيلة ينتظرون مَقْدَمَك ... الأمر جِدّ ... بنو فَهد ...

مالك « متعجلا » : علمتُ ... علمتُ ... هلمَّ بنا ندبِّر الأمر فيما يريد منا بنو فَهد ...

« ينصرف الثلاثة : مالك ، وسراقة ، وبجير ...

بعد لحظة تظهر عبلة وهند ودعجاء ... »

هند « لعبلة » : أثمّةَ جديدٌ من نَبَإ عنترة ؟

عبلة : لا ينقطع لأخباره عنى وِرد ... مامن عِير يجتاز الطريقَ حتى ينقلَ إلىّ من شعر عنترةَ مايملأ أفواه الرُّكبان ... !

دعجاء : أين هو الآن ؟

عبلة : تعلمين أنه رحَل ليبحثَ لى عن حجر الزبرجد ...

دعجاء : لقد طالت غَيبتُه فى البحث عن هذا الحجر ...

هند : أَلَمَّا يعثرْ عليه ؟

عبلة : إنه لواجدُه ...

دعجاء : هَبِيه لم يجدْه ... أيظلُّ هائما على وجهه طولَ عمره ؟

عبلة : لقد أمرتُه أن يُحضرَه ... وسيفعل لا محالة !

دعجاء : وفيم كلُّ هذا العناء ...

عبلة : فى سبيل حبى ! ...

هند : يا لَحظِّكِ البسّام ! ...

دعجاء : وهل يقتضى الحبّ هذا العنتَ كلَّه ؟ ..

عبلة : من أحبنى استهان بالشدائد من أجلى !

دعجاء : ولماذا تُعَرّضين للمخاطر حياتَه ؟ ... إنكِ إذا فقدْتِه فقدتِ الحبيبَ والحبّ معا !

عبلة : حبٌّ مِثلى لا يموت بموت صاحبه ، إنه لحبّ مكتوب له الخلود ... « تصمت هنيهة » ذكّرتنى شأنا : يحوم الأمير عُمارة حولَ ديارنا هذه الأيامَ على غير عادة وإلف ...

هند : ترامت إلينا أطرافُ أحاديث ...

دعجاء : لأىّ شأن يحوم ؟

عبلة : من أجل غادة حسناء ! ... إن الرجلَ لا يحوم حولَ الديار إلا من أجل امرأة ... إنه كالهر يُعُسُّ متشمّما حول جُحُور الجِرذان لا يَغْمُضُ له جَفْنٌ ... !

هند : أجِرذان نحن فيما تَرَيْن ؟

عبلة : بل فيما يرى الرجلُ ياهند ...

هند : أيحسَب الرجل أنه مستطيع أن يتصيدَنا كما يتصيّد القِط فأرة ؟ !

عبلة : إنه لينهج نهج القِط فى اقتناص فريسته ! ... يترصّد لها مخاتلا ، حتى إذا تاحت الفرصةُ انقضّ عليها ، فمرة يلاطفها ، وأخرى يناوشها ... ويظل معها فى معابثةٍ إلى أن تتخاذلَ قواها ، فيَبْطِش بها بطشته الكبرى ... فلتكنْ على حذر !

دعجاء : يلوح لى أن بين الرجال من يحملُ بين جنبيه نفساً أكرمَ من نفوس تلك القِطَطة !

عبلة « لدعجاء » : ربما ...

دعجاء : لم تخلُ الرجالُ من ذوِى همة ونُبل ...

عبلة : كالأمير عُمارةَ الكِندى !

دعجاء « دهشة » : وكثيرٍ غيره ... الحق أنى لست على بَيِّنَةٍ من « نفس » الأمير !

هند « لعبلة » : تقولين إنه يحوم حولَ الديار من أجل حسناء ! ... فمن تكون ؟

عبلة .. : آخزِى ...

هند « متضاحكة » : لعلك هذه الحسناءُ !

عبلة : ولِمَ ؟ أوَ أقفرت القبيلةُ من فتاة سواى تصلُح أن تهفوَ إليها أفئدةُ الرجال ؟

هند : ينظر الأمير عُمارةُ إليك وحدَك نظراتِ وَجد وهِيام ... لم يَعْزُبْ ذلك عن إدراكنا !

دعجاء : وإنه لراجٍ أن تُطارِحيه الحبَّ ...

هند « لعبلة » : ولكنك لن تفعلى ... وإلا فأين وفاؤك لعنترة ؟

عبلة « لهند » : نسيتِ أن تقولى أيضاً : وأين وفاؤك « لصديقتك » ؟ ... وإن للصداقة كرامةً يجب أن تُرْعَى !

دعجاء « لعبلة » : أيّةَ صديقاتك تَعنِين ؟

عبلة « لدعجاء » : ثقى يادعجاءُ أنى لن أقف عقبةً فى طريقك إلى قلب الأمير ...

دعجاء « لعبلة » : ماأدرى عن أىّ أمر تتحدثين ؟

عبلة « لدعجاء » : لِمَ التجاهل ؟ ... أعَنىً تُخْفِينَ ماتَقْصِدين ؟

دعجاء « لعبلة » : ماأخفيتُ شيئا ...

عبلة « لدعجاء » : حسبك كتماناً ... لاتحسَبى أنى أحولُ بينك وبين زواجك بالأمير ... لقد أذِنْتُ لكِ بهذا الزواج ...

دعجاء « لعبلة ، ناظرة فى دهشة وغيظ » : تأذنين بهذا الزواج ؟ !

عبلة « لدعجاء » : إنى أنزل لكِ عن الأمير عن طِيبة خاطر ...

دعجاء « لعبلة » : وإذا لم تنزلى ؟ ...

عبلة « لدعجاء » : أنتِ على علم بأن الأميرَ بى متيّم ...

دعجاء « لعبلة » : ربما كنتِ واهمة !

عبلة « لدعجاء » : أظننتِ أن الأميرَ قد تعلّق بك ؟ هيهات لك أن تأخذيه إلا من يدى ! ... قلت لكِ إنى راضيةٌ أن أهَبَك

إياه ... إنى لعهد صداقتنا وفيّة ...

دعجاء « لعبلة » : لو آنس الأميرُ منى مخايلَ عطف لسارع إلى خِطبتى !

عبلة « لدعجاء » : هيهات لكِ أن تأخذيه إلا من يدى ...

دعجاء « لعبلة » : أشكر لك ... لاأطلب شيئاً منك ...

هند : ولِمَ لايتمّ الأمرُ على هـذا الوجه : عبلةُ لعنترةَ ، ودعجاءُ للأمير عُمارة ؟

عبلة : إلى هذا قصدتُ !

هند « لدعجاء » : مابَغَتْ عبلةُ إلا هناءَك ... إنها تقدّم لك الأمير ...

دعجاء « لهند » : يالك من طفلة !

عبلة « لدعجاء » : لم تعد هندُ طفلة . لقـد أتمت الخامسةَ عَشْرَةَ ... لقد أضحت غادةً هيفاء ...

دعجاء : ولكنها مابرحتْ تُردّد لَغوَ الأطفال !

عبلة « لدعجاء » : أتنالِينَ منها لأنهـا أكدتْ لكِ رضاى عن زواجك بالأمير ؟

دعجاء « لعبلة » : أنا إن أردت الأميرَ لم يَحُلْ بينى وبينه أحد ...

عبلة « لدعجاء » : كما أردتِ عنترةَ من قبل !

دعجاء « لعبلة » : لم أنافِسْكِ فيه ، لأنه لايروقنى ...

هند « لدعجاء » : والأمير ؟

دعجاء : قد يكون لى معه شأن ...

عبلة « لدعجاء » : ألا تَخْشَيْنَ أن أنافسكِ فيه ؟

دعجاء « لعبلة » : إذن فأنتِ تتطلّعين إلى اثنين : عنترة ، والأمير ! ...

عبلة « لدعجاء » : لست أنا المتطلعة ، بل هما المتطلعان . وإن ذلك لَيُسَبِّبُ لى كبيرَ عناء ...

هند « لعبلة » : لقد وعدتِ ألا تَحُولى بين دعجاء والأمير ...

عبلة « لهند » : مازلتُ عند وعدى ...

دعجاء « لعبلة » : لا يَمْنِينى أن تَبَرّى بوعدك أو أن تُخْلفيه ... !

عبلة : يا للكبرياء ! ... ويا للغرور ! ...

هند « لدعجاء » : على ماذا عوّلتِ إذن ؟

دعجاء « لهند » : سأرى رأيى ، لا أنصاعُ لرأى أحد ...

« تنصرف مهتاجة »

هند « لعبلة » : يلوح لى أننا قسونا على دعجاء ...

عبلة : بل هى على نفسها قَسَتْ ... إنها لحمقاء !

هند : لقد سلبتها بالأمس عنترة ، وأنتِ اليوم تزاحمينها على الأمير ! ...

عبلة : ماسلبتُ ولا زاحمتُ ! ... عنترةُ هو الذى أقبل علىّ ، والأمير هو الذى يتودّد إلىّ . فماذا كنتُ فاعلة ؟

هند : شأن الأمير غيرُ شأن عنترة ...

عبلة : ماذا تريدين أن تقولى أيتها الصغيرة ؟

هند : أما قلتِ منذ قليل إنى لم أعدْ صغيرة ؟ !

عبلة : أنتِ صغيرة حتى اليوم ، وستظلّين كذلك معى دائماً ! ... ولـكننى يسرنى أن أستمعَ إلى حديثِك ... تكلّمى : ماذا تعلمين من أمر عُمارة ؟

هند : لقد شَغَفْتِه حُبًّا ، بَيْدَ أنه بدعجاءَ مُعْجَب !

عبلة : بعضُ الإعجاب إشفاق !

« تهم هند بالخروج ... »

إلى أين ؟

هند : إلى دعجاء أُمَرِّى عنها ...

« تنصرف هند .

عبلة منفردة تفكر .

يبدو الأمير عمارة الـكندى فى خطا هينة .

عبلة نحس مقدمه »

عبلة « ملتفتة إلى الأمير » : الأمير عُمارة ؟

« فترة سكوت ... »

عُمارة : أأكون قد عكرتُ عليكِ صفوَ أحلامك ؟

عبلة : أيُّةُ أحلام ؟

عمارة : أنتِ مشغولة الخاطر بأمر ! ... ذلك واضح على جبينِك الناصع !

عبلة : ربما كنتَ على صوابٍ فيما قَدَّرْتَ ...

عُمارة : أنتِ مشغولة الخاطر بشخص ! ... ذلك جَـلِيٌّ فى عينيك النجلاوَين !

عبلة : أىُّ شخص ؟ ...

عمارة : الذى تعرِفين !

عبلة : أصديق هو ؟

عمارة : أكثر من صديق !

عبلة « ترنو إليه فى تخابث وتدلل » : أحسِبْتَنى هَيْمى بأحد ؟

عمارة : أخاليةُ القلب أنتِ إذن ؟

عبلة « متضاحكة » : مثلَكَ ياخالىَ القلب !

عمارة : ليس قلبى بخالٍ ياعبلة ... وأنتِ بذلك عليمة !

عبلة « متضاحكة ، فى عبث » : أعـلم أن الأميرَ يحوم حولَ الحِمَى من أجل فتاة ... وإن فى حَيِّنا لَحِسانا فواتن !

عمارة : هنا فتاة تفوق أترابَها حسناً وفتنة ...

عبلة : إن الناس ليتحدثون بجمال دعجاء !

عمارة : دعجاء جميلة لا ينكر جمالها أحد ... ولـكننى عَنَيْتُ ...

عبلة « مقاطعة » : أتُراكَ عَنَيْتَ هنداً ؟

عمارة : تعرفين من عَنَيْتُ ياعبلة !

عبلة : هل غاب عن فطنةِ الأمير أن التى يَعنيها هو قد تعلّق بهـا فتى من القبيلة لم يَخْفَ أمرُه ؟

عُمارة : فتى قد ارتحل إلى ديار نائيـة ... وأكبرُ الظن أن المقام قد طاب له هناك ...

عبلة : مافارق الديارَ إلا ليبحثَ لفتاته عن حجر الزبرجد ...

عمارة : حجر كريم العنصر ، ليست قيمتُه بزهيدة ... ولكن العثورَ عليه لايستنفد كلَّ هذا الجهد ! ... إن الأسواقَ به مَلأى ... لوطُلب إلىّ هذا الحجر لقدَّمتُه فى طَرفة عين !

عبلة : هذا حق ... إن ثمنه لايُعْييك !

عمارة : فى مُكنتى أن أقدم مائةَ قطعة من حجر الزبرجد ... لاقطعةً واحدة !

عبلة « معاتبة » : وما قيمةُ هـذا الشىء الذى تقدمُه مستطيعاً فى طرفة عين أيها الأمير ؟ !

عمارة : أليس هذا الحجر طَلِبَةَ الفتاة ؟

عبلة : إن طَلِبَتَها أبعدُ من ذلك مرمًى وأعزُّ شأنا !

عمارة : أى مرمًى ؟ وأىّ شأن ؟

عبلة : عليك أن تتبينَ ذلك بنفسك ، لكى تُذلَّلَ لك القلوب !

عمارة : أرغب إليكِ فى أن تلقنينى عِلْمَ ما أجهل ...

عبلة « فى دلال » : أأنتَ تجهل ذلك حقًّا ؟

عمارة « فى جد وشغف » : يبدو لى أنى حين أكون معكِ أجهل كلَّ شىء ... أجهل الدنيا والنـاس ... بل أجهل نفسى أيضا ...

إننى ليختلط علىّ أمرى فلا أعى ما أقول ولا أدرى ما أصنع ؟ ! ... أريد أن ترشدينى ... أريد أن تقولى لى : آفعلْ هذا ، ودَعْ ذاك ؛ فإنكِ لن تلقَىْ منى إلا سمعاً وطاعة ... ياعبلة : مُرِينى ، ماذا تبغين ؟

« يجثو حيالها »

عبلة : حسبك ... انهض ...

« تأخذ يده ...

يقف الأمير عمارة أمامها مضطربا حائر النظرات ...

ترنو عبلة إليه بسامة الثغر ...

تقول له فى صوت لين النغم : »

بدأتَ تفطُن إلى سريرةِ المرأة ياصاح !

عُمارة « متعثما » : أحقًّا ... ؟

عبلة : هذا ما أراه !

عمارة : إذن أعينينى على بلوغ أُمنيتى ...

عبلة : أيةُ أُمنية لك ؟

عمارة : أن أقتنص قلبَ التى أهوى ...

عبلة : أفى طوْقك أن تقتنص قلبَها ؟

عمارة : لستُ على أية حال أقلّ درايةً من مُزاجمى ...

عبلة : من أين لكَ أن تعلم أن مزاحِمَك اقتنص قلبَها ؟ ... قلبه هو

الذى وقع فى الشَّرَك ! ...

عُمارة : تزعُمين أنها لم يهف قلبُها إليه ؟

عبلة : لاريب أن بها عطفاً عليه ... ربما هَوِيَتْهُ يوما !

عمارة إذن لى أن أؤمِّل فى هواها ...

عبلة : إنها لاتقف دون أملك أيها الأمير ... ولكن أعلم أن الطريقَ إلى قلبها تتناثر فيه الصعابُ والأشواك ! ...

عمارة : لأذللنَّ هـذه الصعاب مهما يكنْ من أمرها ، ولأحتملنَّ هاته الأشواك مهما يكنْ من وخزها ...

عبلة : أواثق أنتَ بنفسك ؟

عمارة : أعظمَ الثقة !

عبلة « وقد وقفت وقفة التأمل » : أفصحْ عمّا تريدُ أيها الأمير ... قل صريحاً ماذا تبغى ؟

عمارة : أبغى خِطْبتَكِ ياعبلة ...

عبلة : هل يعرِف الأمير مَهرى ؟

عمارة : لكِ فوق ماتطلبين ... إن العظيمَ فى سبيلك ليهون !

عبلة : أتعرِفُ النِّياق التى تسمّى بالنياق العُصفوريّة ؟

عمارة : أعرِفها حق المعرفة : قُدودها كقدود الظباء ، وأوبارُها كَشِقَقِ الديباج ؛ إذا انطلقتْ تعدو فى البيداء لم يسبِقْها الظَّليم ، وإذا نُحِرتْ وطَعِمْتِ من لحمها ألفيتِه أشهى

من لحم الحُمْلان ...

عبلة : « فى عزم ، وقد عقدت يديها على صدرها » : أطلبُ منها ألفاً ...

عُمارة : ألفا ؟ ! ...

عبلة : مطلب عسير ؟

عمارة : الحصول على مائة من هذه النياقِ يُعدُّ إحدى المعجزات ... ! إنها عزيزةُ المنال ، نادرةُ الوجود ... وهى مشتتة فى مختلِف الثغور ، يتطلب جمعُها ضربا فى البلاد ، وغيبةً تستغرق الأشهرَ الطِّوال ...

عبلة : لا أقصِد أن أجشِّمَك ما لا طاقةَ لك به ...

عمارة : قدِّرِى ثمن ماتطلبين من هذه النياق ، فأبذُلَه لك عاجلا ...

عبلة : ماطلبتُ فضةً ولا ذهباً ، بل نياقا ...

عمارة : ودِدْتُ أن أُطوِّف فى أنحاء الأرض لأجلبَ لك تلك النياقَ ، ولكن الرحلة تؤخِّر زواجَنا زمنا ...

عبلة : لم يقلْ عنترةُ مثلَ هذا القولِ ، بل ارتحل فى طلب ماأردتُ وهو راضٍ فخور ... لقد فارق الديارَ وهو يترنَّم بهذين البيتين :

أَذِلُّ لعبلةٍ من فرط وجدِى ... وأجعلُها من الدنيا اهتمامى

وأمتثلُ الأوامرَ والنواهى ... وقد ملك الهوى منى زِمامى

عمارة : كفى ياعبلة ...

عبلة : لاتنس أن دعجاء لاتطلب ألفاً من النياق العُصفورية ! ... فتاةٌ ليست بطَلموح ... إنى لها أختٌ وفيّة ، أستطيع أن أكونَ رسولَك إليها أسألها ما مهرها ؟

عُمارة : ياعبلة كفى ... كفى ...

عبلة : ماذا أيها الأمير ؟

عمارة : هَبينى ضَمِنتُ لك أن أسوقَ إليك النياقَ الألفَ التى طلبْتِها ، أتُقْسمين على أن تكونى لى ، لاينازعنى فيك منازِع ؟

عبلة : إن فى الحصول على هذه النياق لمشقةً أىّ مشقة ، فلِمَ تكلّف نفسَك هذا العناء ؟

عمارة : سألتُكِ : أتقسمين على أن تكونى لى زوجاً إذا سُقتُ إليك النياق ؟

عبلة « وهى تحدق فيه » : أقسم على ذلك ! ...

عمارة : أتقسمين على أن تنتظرينى مهما تَطُلْ غَيبتى ؟

عبلة : أقسم على ذلك ! ...

عمارة « فى حزم وتأكيد » : لأجلبَنّها لكِ ألفاً من النياق العُصفورية الأصائل كاملة !

عبلة : مرحىٰ أيها الأمير !

عمارة : إنى راحل من فورى ... جوادى خلفَ هـذا الخباء ينتظرنى ... « يشير إلى خباء بين الأخبية المتناثرة فى ساحة الحى »

إلى الملتقى ياعبلة !

عبلة : إلى الملتقى القريب أيها الأمير ...

« يحييها جياش العاطفة ، ويمضى مهرولا .

تشيعه بنظرات زهو وانتصار .

تظل رانية إلى طريقه الذى غاب فيه .

بعد قليل تقبل من طريق آخر هند ودعجاء باكيتين .

تسرع إليهما عبلة متسائلة »

عبلة : مابكما ؟ فِيم بُكاؤكما ؟ تكلَّما ...

هند : أما ترامى إليكِ الخبر ؟

عبلة : أىَّ خبر أردتِ ؟

دعجاء : عنترة ... عنترة ...

« تشرق بعبرتها فلا تقدر على مواصلة الكلام »

عبلة : مالعنترة ؟

هند « فى صرخة أضعفها النشيج » : إنه قَضَى ...

عبلة : عنترة ؟ قَضَى عنترة ؟

« تقف مشدوهة ذاهلة اللب »

هند « وهى ترى نفسها فى حضن عبلة » : قلت لكِ إنه قَضَى !

عبلة : من أين استقيتما هذا الخبر ؟

هند : الناس يتناقلونه ...

عبلة « صائحة » : من أتى به ؟

هند : لست أدرى ...

عبلة : طالما تناقلت ألسنةُ السوء أكاذيبَ تبغى بها جرّ المغانم ... كلا ، ماقضى عنترة ... فرية مدسوسة !

دعجاء : كيف لا يقضى ؟ ألستِ أنتِ التى رَمَيت به فى المهالك ؟

عبلة : لقد أرسلتُه فى طلب حجر الزبرجد ... وإنه لآتٍ به !

دعجاء : تحاولين بهذه الشقشقة الجوفاء أن تستُرى جريرتك ... لقد نكبْتِ القبيلة فى أعزّ بنيها ...

عبلة : أمسكى عن هذا الهُراء ...

دعجاء « مستانفة » : ... كما نكبتِ القبيلة فى فِتيان آخرين قبله ! ... كل هذا إشباعاً لغرورك الطائش وإرواءً لِأثَرَتِك الحمقاء !

هند « منمنمة » : ألا تكتفين ؟

دعجاء « لعبلة ، مدفعة » : لَشدَّما آذيتِ الناس وكنتِ عليهم بلاءً مصبوباً ... أننسى صنيعك بِجُنْدَبٍ باكورةِ أحبّائك وهو فتى قبيلةِ بنى وحيد ؟ ألم تُشبِّ نار البغضاء بينه وبين أخيه الوضّاح ، حتى ...

عبلة « مقاطعة » : لقد كان الوضّاحُ لئيمَ الطبع زنيما ...

دعجاء : لأنه لم يقابل حبَّك بحبّ ! ... فجزيتِه على ذلك أن أثرتِ أخاه عليه بمكرك وكيدك ، وما زلتِ بهما حتى اقتتلا

وسقطا صريعَين معاً ...

عبلة : حَدَثٌ تافه ، كثيراً مايقع مثلُه بين الإخوة ...

دعجاء : وهل ننسى العطّاف ؟

هند : ليس لعبلةَ إصبع فيما حلّ به من كارثة ...

دعجاء : بل اقترفتْ جريمةً لا تُغتفر ...

عبلة : أيّةَ جريمة اقترفتُها ياجرثومةَ السوء ؟

دعجاء : لقد جفا أمّه جفوة شنعاء ، تاركاً إياها نُهبةَ الفاقة والبؤس ، فهلكتْ فريسةَ الإهمال والعُقوق ... وما سولتْ له نفسُه أن يفعل ذلك إلا استجابةً لرغباتِك وإيثاراً لمرضاتِك ... حتى إذا جاء يستنجزُك عهدَ الزواج لم يجد منك إلا التمنُّعَ والإباء ، فذهب هولُ الصدمة بعقله ، وهام على وجهه شريداً لايستقرّ به مَقام ... والآن ، لقد حان يومُ عنترة !

عبلة « مهتاجة غضبى » : إن لم تُمسكي عليكِ لسانَك أريتُكِ كيف يكون ردى ...

« ترفع يدها فى وجه دعجاء ...

تحول بينهما هند ...

فى هذه اللحظة يبدو مالك فى جمع من رجال القبيلة ، بينهم ابن فياض التاجر الرحال ...

تأخذ هند يد دعجاء وتمضيان ... »

مالك « لعبلة » : ما أظنكِ إلا قد علمتِ بنبإ عنترة ...

عبلة : من افترى هذا الخبرَ يا أبتاه ؟

ابن فيّاض : أنا الذى حملتُ إليكم الخبر ... ماافتريتُ ولا كَذَبتُ !

عبلة : ابن فيّاض ؟!

مالك : جوّاب الآفاق ، ورأس تجار البقعة ... لقد أتى فى عِيرٍ من فارسَ منذ قليل ...

عبلة « لابن فياض » : وهل لقيتَ عنترة ؟

ابن فياض : لقيتُه حيًّا ، وودّعتُه مَيّتاً !

عبلة « مضطربة مأخوذة » : أوضِحْ . آصدُقنى . هل رأيتَه بعينىْ رأسِك ؟

ابن فياض : كنتُ فى كِرْمانَ أجمعُ نفائسَ البُسُط للملك السجَنْجَل ، فصادفتُ فى السوق عَطْمَطماً عليه أسمال ، يرزح تحت هَمّ ثقيل . فسألته : ماخطبُه ؟ فأنبأنى بأن عنترة طريحُ فراشه نَهَكتْه العِلّة . فصَحِبْتُه إلى مستقَرّ عنترة ، فوجدت مايخلَع القلب أسًى ويثير الدمع ... عنترة العظيم الجبّار ملقًى على حَصير فى حجرة مهدّمة يجودُ بنفسه ! ...

هند « فى ألم وتحسر ، لابن فياض » : ماذا كان يشكو ؟

ابن فياض : لزِمَتْه الحمّى ، فلم تُبق منه باقية .

« يصمت برهة ، والعيون إليه شاخصة .

عبلة يغشاها ذهول .

ابن فياض يتابع قوله : »

لقد كان عنترة فى بُحْران الحمّى حين دخلتُ عليه ، ولكنه مارآنى حتى عرفنى ...

عبلة « فى صوت يختلج النبرات » : أقال لكَ شيئاً ؟

ابن فياض : سمعته يردّد أبياتا يتغنّى بها فى مشقة وعَناء .

عبلة : أما استبان لكَ منها شىء ؟

ابن فياض : أنتِ للعين ضياءْ أنتِ للرُّوح دواءْ

عبلة « وقد شرقت بالدمع » : أنتِ ياعبلةُ أُنسٌ لفؤادى وهنـاءْ

« تنهالك على صدر أبيها وقد ملكها النحيب ... تهمهم قائلة : »

أبَتِ ! ... أبَتَاهُ ! ...

« يلاطفها مالك أبوها هنيهة ... يتوسط الجمع صائحا : »

مالك : يابنى عَبْس ، نَضَى فارسُ القوم عنترةُ ، فحيّوا ذكراه ...

عبلة : ياطالما حفِظ الذِّمار ، ومنع بنجدته الجار ، وردَّ عنا عُدوان المغـير ، وأفاض المغانمَ على أخبية الحىّ ، وعقَد لقبيلتِنا لواءَ السِّيادة على قبائل البيداء ...

مالك « بعد لحظة صمت » : يامعشرَ عَبْس ، قضى عنترةُ ولكنَّ قبيلةَ عنـترة حيَّـةٌ لم تقضِ . فما زال فيها شباب نَهّاضون وكهولٌ صناديد !

سُراقة : صدقتَ وبَرَرْتَ ياسيدَ القوم ، عنترةُ لايموتُ مادمنا أحياء !

بُجَيْر : كلٌّ منا عنترةُ ... إن فعالَنا شهود نواطق .

ابن الزاهد : لقد كان عنترةُ أحدَنا ، ولم يَتِمّ له فوزٌ إلا بسواعدنا ...

بُجير : كان عنترةُ شجاعاً بحق ، ولكن ما نَفْعُ شجاعة رجلٍ وحده إذا لم يعزّزْها فُرسان أشدّاءُ مثلنا ؟ ... لولا سيوفنا لما نَبُهَ لعنترةَ ذِكْر !

سُراقة : لولا نحن لم يكن عنترة شيئاً ...

عبلة « صائحة » : أتزعُمون أن فيكم نِدًّا له شدةَ بأس وثباتَ جَنان ؟

مالك « مبتسما ، لعبلة » : أخذتهم حَمِيّةُ التفاخرِ يا بُنَيّة !

عبلة : كان عنترةُ أطولَهم باعا وأعنَفَهم مِراساً وأفصحهم لساناً ... كان سيفَ القبيلة البتّار ، وصوتَها الرنان !

ابن الزاهد « لعبلة » : كل رجل منا ياعبلة سيفٌ للقبيلة بتّار ، وصوتٌ لها رنان ... ليس بيننا وبين عنترة إلا أن الحظّ واتاه وأخلفَنا ، فتألّق اسمُه وعلتْ مكانته ...

سراقة : ثم خَمَدتْ جذوتُه ، وخبا ضوءُه !

عبلة : كلا ... لن يَخْبُوَ ضوءُه أبدَ الدهر ...

ابن الزاهد : حسبكم يارفاق ... أثبِتوا الملإ أنكم فعّالون لا قوّالون . هيا ...

« يتبأ الجمع للانصراف .

عبلة تحتجز ابن فياض »

عبلة « لابن فياض » : حدّثني عنه !

ابن فياض : أيّ حديثٍ تريدين ؟

عبلة : كيف كانت حياتُه في مطارح الغُربة ؟

ابن فياض : لقد أفضى إلىّ عطمطم بِسُتَفٍ منها ... قَصَّ علىّ كيف كابدَا مصاعبَ وتجشَّما أهوالاً ... لقد طوّفا فى البلاد شرقاً وغربا ، وجابا أصقاعاً لم تطأها قدم عربىّ من قبل ، وهبَطا مدائن عجيبة لم يُسمعْ بها إلا فى أساطير الأولين !

« يصمت ابن فياض وعبلة وقد غشيتهما كآبة »

عبلة « والدمع يتحير فى مآقيها » : أوارَيتَه الترابَ بنفسك ؟

ابن فياض : كان علىّ أن أُدرك القافلةَ وهى على وشْكِ الرحيل إلى إبْرَيْشَم حاضرة بلاد الملك السَجَنْجل ، فعَهِدْتُ بالأمر إلى عطمطم ... ثم أنى أديتُ واجبى أتمَّ أداء . كان عنترةُ فتى القبيلة الأمجد ، فحقَّ علىَّ أن أرعاه فى محنته .

عبلة : جُوزيتَ خيرَ جزاء !

« فترة صمت »

ابن فياض : أترغبين فى السؤال عن شىء ؟

« تهم عبلة بالكلام ، ولا تلبث أن تمسك ... »

ماذا ؟ تكلمى !

عبلة : ليتنى لم أَبعثْهُ فى طلب حجر الزبرجد ... شدَّ ما أنا جائرة ! ...

ابن فياض : ترامىَ إلىّ أنه لم يحصل على طَلِبَتِك ، عُرِضَتْ عليه أحجار زبرجدية غيرُ أصيلة ، فأعرضَ عنها ...

عبلة « مغمغمة » : لقد لَقِىَ فى سبيل هذا الحجر المشئوم عَنَتاً

أىّ عَنَتٍ ... « تصمت هنيهة » لا أستبقيكَ طويلا ،
فالجمع ينتظرك ... شكراً لك يا ابن فياض .

ابن فياض : طاب يومُكِ !

« ينصرف ...
تقبل هند ودعجاء »

عبلة « فى لوعة ، لهند » : مصابُنا فى عنترةَ يَجِلّ عن العزاء .

« تحتضن هنداً فتبكيان ، وتدنو منهما دعجاء باكية ...
تبدو أم هرم ... »

أىْ عنترةُ المغوار !... أىْ حامىَ القبيلة الفذّ !

أم هَرِم : وماذا بعدُ ؟ كفكِفْنَ من عبراتِكنّ . لن يغنىَ البكاء فتيلا ...

« تندفع باكية ... تمسح عينيها بطرف خمارها »

وردَ علىّ الساعةَ نبأ عجيب !

دعجاء : أىُّ نبإ هذا ؟

أم هرم : يتهامسُ الناسُ بعودة الأمير عُمارة ...

« ترهف عبلة سمعها »

يتناقلون أنه فى طريقِه إلى الحىّ ...

عبلة : أسَاقَ معه النياق ؟

أم هَرِم : لاعلمَ لى بنياقه يا بُنَيّة ... سمعتهم يتحدثون عن ركْب عظيم يجتاز شِعاب « الحواشب » متجهاً نحوَ مضارب خيامنا ، وكثيرون يذكرون اسمَ الأمير ...

عبلة « وقد أشرق محياها » : من أدب الضيافة أن نَخِفَّ لاستقباله ...
ألا ننهض ؟

أم هرم : هيا يابنية ... نعمَ الرأىُ مارأيتِ !

« تهرع عبلة منصرفة ، وفى إثرها أم هرم ... »

دعجاء « عاقدة يديها على صدرها » : أدعاها أدبُ الضيافة حقًّا إلى أن نَخِفَّ لاستقبال الأمير ؟ « تسكت عن الجواب هند »

ثقى ياصغيرتى أنها لاتبكى على عنترةَ بقدر ماتبكى على نفسها ...
إنها لترى فيـه طَبْلًا تقرعهُ فيدوِّى باسمها ، فإن تمزَّق الطبلُ
سارعتْ إلى البحث عن طبل جديد !

هند : أواعيةٌ أنتِ ماذا تقولين ؟

دعجاء : نعم ، أعى ماأقول ...
ستذوب أحزانُها وشِيكا على صدر أميرها المضطرم ...
لن يبقَى لعنترةَ بعد اليوم فى قلبها مكانةٌ !

الفصل الثالث

« المنظر السابق .

عبلة جالسة بباب خبائها تغزل الصوف وبجوارها هند .

غير بعيد منهما مالك يجلس إلى رهط من القبيلة ، بينهم ابن فياض وسراقة وابن الزاهد وبجير . »

ابن فياض : إنى لأعجبُ من حَيْرتكم ... ألم أقلْ لكم إنى رأيتُ عنترةَ بعينَىْ رأسى يلفِظ أخرَياتِ أنفاسه ؟ مالكم لاتصدّقون ؟ ... لقد غبتُ عن الحى قُرابةَ ستةِ أشهر منحدراً إلى الجنوب فى تجارة ، وهأنذا أعود فأجدكم تكذّبوننى فيما كنتُ أخبرُكم به فى شأن عنترة ... لماذا تُكذّبون ؟ ...

مالك : لستَ بكاذب يا ابنَ فياض ... ولكن قد تكون مخدوعا ...

ابن فياض : أتخدعُنى عيناى يا مالك ؟

مالك : يقول ابن مُرّة إنه لقىَ عنترة فى مشارف الطّلَقان بإقليم طَخارِستان يقود جيشاً عَرمرماً يحاربُ به الترك ...

ابن فياض : أين ابنُ مرة هـذا ؟

بُجَيْر : لقد ارتحل بعيره إلى الشمال .

ابن فياض : لو كان بيننا الآنَ لما جرُؤ على أن يواجهنى بهذه الفِرْية ...

مالك : زعم ابنُ مرة أنه لقى عنترةَ بعد لقائك إياه ...

ابن فياض : لا يبرحُ الموتى قبورَهم يا مالك !

مالك : إنى لفى حَيْرة من أمر عنترة ... أتمثله رُوحاً شاردة تَهيم فى الآفاق لا يستقرُّ لها قرار ...

سُراقة : إذا كان عنترةُ حيًّا فلماذا لا يرجع إلى الأهل والديار ؟ ... لقد طالت غيبتُه دون أن ندرك لذلك سبباً ...

هند « لعبلة » : يبحث عن حجر الزبرجد ..

« عبلة لا تجيب متشاغلة بغزلها »

ابن الزاهد « فى دعابة ساخرة » : لقد احتجزته فارس لنفسها ، فأمَّرَتْهُ على جندها ، وقَلَّدَتْه زمام بلادها ... لسوف يُخضع لها الدنيا بأكملها ، ويملأ خزائنَها أسلاباً وغنائم ...

بجير « ضاحكا » : إنى لأتمثله وقد غدا دِهقاناً مَهيبا يَرْفُلُ فى طَيلسانه . ويترنح رأسُه تحت قَلَنْسُوَة ضخمة شاهقة !

سراقة « وهو يقابل ضاحكا » : ولِمَ لا يكون قد غدا ساحراً مجوسيًّا جليلَ القدر يَخُف به الأتباع والأنصار ؟

« يقبل حازم »

حازم « لمالك » : أعلمت أن خُزَيْمَةَ آت بِعِيره من دُمُسْتُق ، وسيبلغ الحيَّ بعد قليل ...

مالك « لمن حوله » : هلموا لاستقباله يارفاق ... لكلٍّ منا فى هـذا العِير متاع ...

ابن فياض : هيّا ...

« يصرف مالك ومن معه ...

هند تختلس النظر إلى عبلة كأنها تهم بالحديث .

وعبلة على حالها متشاغلة بمغزلها »

هند « كأنها تناجى نفسها » : أمرُ عنترة لم يعد يشغَلُ بالنا ...

« عبلة تتابع غزلها غير معنية بما تسمع »

الدنيا كلها تتحدث فى شأنه ... سِوَانا ... !

« عبلة كما هى صامتة »

أحيٌّ هو أم ميت ؟ ... ألا نستطيع معرفةَ حقيقةٍ نطمئن إليها ؟

« عبلة منصرفة إلى مغزلها ...

هند تثور فتجذب المغزل من يد عبلة »

إن حركة هذا المِغْزَل تثير غضبي ...

عبلة « ناظرة إلى هند » : ثم ماذا ياهند ؟

هند : ثم ماذا ياعبلة ؟

عبلة : عجباً لك ؟ ... ماذا تريدين منى ؟

هند : أريد أن أعلمَ : أحيٌّ هو أم ميت ؟

عبلة : أوَ قيل لك إنى عرّافة أو ساحرة ؟

هند : يجب أن تكونى عرافة أو ساحرة لتتكشفَ لكِ جَلِيَّةُ هذا الأمر ... لماذا لم تشاركى رجالَ القبيلة فى الحديث حين خاضوا فيه ؟ ... ألم تسمعى ماقالوا ؟

عبلة : كنت أستمعُ لصوت مِغْزَلى !

هند : أصبحتِ الآن لا تُفارقين هذا المغزل ... هو دائماً معك ... وأنتِ على نفسك منطوية لا تنبسين بكلمة ... ألا يَهُمُّكِ أن تعلمى أن عنترةَ مازال حيًّا يُرزق ؟

« عبلة لاتجيب »

والأمير عُمارة ؟ ألا يَهُمكِ من أمره شىء ؟

« عبلة صامتة »

ستةُ أشهر مضتْ والأمير عُمارة يجوبُ فيها البقاع ليَلُمَّ شَتاتَ النِّياق العُصْفورية ... إن الناسَ ليتناقلون أنه موفَّقٌ فى مَسعاه ... سيعود إليكِ يوماً ومن ورائه جموعُ النياق التى أرسلْتِه فى طلبها ... إنى لأسائلُ نفسى : كيف تصنعينَ إذا قدِم عليك عنترةُ والأمير عُمارة فى وقتٍ معاً ؟ ...

عبلة « غير مهتمة » : لاأصنع شيئاً ... !

هند : كيف ؟

عبلة : هل قدِم الأميرُ عُمارة وعنترة ؟

هند : لا ... ولكن ...

عبلة : أراكِ عَجِلًا .. أتريدين أن تَسبِقى الحوادث ؟ ... دعى الأمورَ تجرى فى أعِنَّتِها ياصغيرتى ...

« تجذب المغزل من يد هند »

هند « وهى تحاول أخذ المغزل » : لا ... لا ... أتَبْغِينَ أن تعودى لِمِغْزَلِك وصمتك ؟ ... هذا لا يطاق !

عبلة : أتحسَبِين أنى أصمُت إذا خلوتُ بمغزلى ؟ ... إنى لَأُناجيه ويناجينى بأعذبِ الكلام ... تعلَّمى ياصغيرتى أن تكونَ بينك وبين مِغْزَلِكِ مناجاة !

هند : لقد أصبحتِ أنتِ ودعجاء لا تأنَسان إلا إلى المغزل والصمت ...

عبلة : أكذلكِ دعجاءُ حقا ؟ ... سننظر أينا أسبقُ غَزْلا !

هند : مكتوبٌ لكِ الفوزُ دائما ...

عبلة « ضاحكة » : سأدعُها تفوز هذه المرة ...

هند : بربك خبِّرينى ياعبلة ، أيُّما أحبُّ إليك ، حجرُ الزبرجد أم النِّياقُ العصفورية ؟

عبلة « تحدق فيها مبتسمة » : وأنتِ ماذا تفضِّلين لو كنتِ مكانى ؟

هند « بعد روية » : كنت ... أفضِّل حجرَ الزبرجد .

عبلة : والنِّياق الألف ... ألا يهفو لها فؤادُك ؟

هند : حجر الزبرجد أثمنُ وأغلى !

عبلة « وهى تربت خدها مداعبة » : أنت تفضّلين يابنيةُ صاحبَ الحجر لا الحجرَ نفسه ... لقد شرع قلبُك يتفتّح حقّا ... حَذارِ ياصغيرتى حَذار ... لقد أصبحتِ تنافسيننى فى حبّ عنترة كدعجاء ...

هند : أتظنين أن دعجاء تنافسُك ؟

عبلة : دعجاء تحبُّ عنترة ... لم يعد ذلك سرًّا خفيّا ... ألم تخطّ له قبراً ليكون لها مزاراً ومَبْكىٰ ؟ ... لقد جاهرتْ بمكنون قلبها حين ذاع نَعىُ عنترة !

هند : كان خيراً لها أن تجاهرَ بحبه وهو حىٌّ مقيم !

عبلة : إنها لأحزمُ من أن تفعلَ ماتقولين ... إن الميت لايملك لحبّها قَبولا ولا رفضا ، أما الحىّ ...

هند « مقاطعة الجملة » : فله لسان قد يجرحُ به قلبَها إذا اقتضى الأمر .

عبلة : قلتِ صواباً ... والآن وقد حملتْ إلينا الأنباء بعثَ عنترة نرى دعجاءَ قد هدمتْ القبر وراحت فى لَبوس العذراء الخَجُولِ تحاول أن تسترَ ذلك الهوى ...

هند : ليت شعرى ، أللأمير عُمارة يهفو قلبُها أيضا ؟

عبلة : يجمُلُ بنا أن نتريّثَ حتى تُنهِىَ إلينا الأخبارُ نَعْىَ الأمير ، لننظرَ : أتخطّ له قبراً ؟ ولنوازنَ بينه وبين القبرِ الذى خطّته

قبلاً لعنترة : أيُّهما أدلُّ على صدق الهوى ؟ ... دعينا من هذا ... ألا نمضى لنستقبلَ عِيرَ دُمُسْتُق فى مقدَمِها إلى الحىّ ؟ لاريب أنها تزخَرُ بفاخر الثياب من سُنْدُس وديباج ...

هند : هيا ...

« تهمان بالذهاب ، فتلقاهما أم هرم »

أم هَرِم : إلى أين تقصِدان ؟

هند : إلى حيث نستقبل عِيرَ دُمُسْتُق ... نتخيَّر من متاعها ما يحلو لنا ...

أم هرم : ليستْ بالعير ماحسِبوها عيراً ... إنما هو جَمْعٌ حاشد من الناس والجياد والإبل ... يبدو لى أنه رَكْبُ أمير عظيم ...

عبلة : أىّ الأمراء هو ؟

أم هرم : إن الغبارَ المتكاثفَ ليعقدُ حولَ الركب سحابةً كبيرة ، فلم نستطع أن نَتبيَّنَ : مَن القادم ؟ ... بَيْدَ أنى سمعتُ اسمَ الأمير عُمارة على كلِّ لسان .

هند : أحقًّا هو القادم ؟

عبلة : ياطالما حملت إلينا أم هَرِم أنباءَ عودة الأمير عُمارة ، فلما استجلينا الخبرَ اتضح لنا كذبُه ...

أم هرم : وما ذنبى يابنية ؟ إنى أنقُلُ ماتلتقطه أُذناىَ من حديث القوم ...

هند : وبماذا يتحدث القومُ اليومَ يا أم هَرِم ؟

أم هرم : إنكما تكذِّبانِنى فى قولى ...

هند : أقسمتُ عليك أن تتكلمى ...

« تجتذب أم هرم كلا من هند وعبلة وتسر الحديث إليهما »

أم هَرِم : إن من بين رجال القبيلة من يتوجَّس شرًّا من هذا الركْب القادم ... ربما كانت غارةً يَشُنُّها علينا أعداؤنا بنو فَهد ...

« لعبلة » : إن أباك يجمع الجموع تحرُّزاً وأُهبة ...

« يقدم حازم مهرولا »

حازم : ألا تعلمُنّ الخبر ؟

عبلة : عجِّل وقل : أحربٌ هى أم سلام ؟

حازم : لقد تجلّى الغبارُ عن وجْهِ الركب ، فإذا بفارس يعدو نحونا ... فهل علمتُنّ مَن الفارس ؟

عبلة : عجِّل وقلْ ، من هو ؟

حازم : آحزِرْنَ !

أم هرم : أفى مقام دُعابةٍ نحن ُ ياحازم ؟ أم تُراك أثقلتَ فى الشراب فجئتنا تَهذى ؟

عبلة : قل ، من الفارس ؟

« يظهر عطمطم فجأة على رأس الربوة ، ثم يقفز دفعة واحدة . فيغدو بينهم ، عليه ثياب فارسية ثمينة »

عطمطم « وقد سمع سؤال عبلة » : أنا الفارس !

« عبلة وهند وأم هرم ينظرن إليه لحظة مشدوهات .

يصحن : عطمطم ! ... عطمطم ! ... »

أجل يا أحبائى ... عطمطم ...

« هند تعلق برقبته متصايحة ...

يلمع فى رأسها خاطر ، فترنو إلى عطمطم جزعة »

هند : وعنترةُ ، أحىٌّ هو ؟

عطمطم : إن الموت ليتهيبُ الدُّنوَّ منه ...

« يتعاظم فى وقفته متنفخاً »

لقد نصبتُ عنترةَ أميراً على بلاد الترك ، يَجبي لىَ الخراج ، وينتقى لىَ غوالىَ التُّحف ...

هند : دع المزاح ... أين هو ؟

حازم : إنه قادم فى حَشْدٍ مَهيب من بنى الحىّ .

عبلة « وقد أمسكت يد عطمطم » : لقد جَلبَ لى معه حجرَ الزبرجد ... أليس كذلك ؟

عطمطم : حجر الزبرجد ؟ ! ... لاعلمَ لى بهذا الحجر ... لاأذكر من أمره أىَّ شىء !

عبلة : كيف ؟ ألم يَحُبْ عنترةُ شرقَ الأرض وغربها بحثاً عن هذا الحجر ؟

عطمطم « يضرب جبهته بكفه » : ذكرتُ الآن ... أليس هو ذلك الحجرَ الذى كان شغلَ عنترةَ الشاغلَ بُعَيْدَ ارتحالنا من البادية ؟

عبلة : إنه هو ! ... ليس ثَمَّةَ مايشغَلُ عنترة غير هذا الحجر .

عطمطم : الحرب يا بُنَيَّة ... الحرب ! ... كانت همّ عنترةَ الأكبر ...

عبلة : ألم يَعرِضْ عليه التجّار حجراً من الزبرجد غيرَ أصيل ، فأبى أن يقبلَه ، واستأنفَ بحثَه الشاقّ ؟ ...

عطمطم : لاعلمَ لى بشىء من هذا ...

هند : إن صِعابا شِداداً حاقتْ بكما فى بلاد الغُربة : مرضٌ فاتِكٌ ، ضنكٌ مرهِق ...

عطمطم « يقهقه مزهواً فى ذهاب وجيئة » : بل قولى ياصبية : صحة موفورة ، غنًى عريضٌ ، جاه كبير ... لقد أقبلتْ علينا الدنيا فلم نر إلا نعيما وعزّة ... يبدو لى أن أخباراً عجيبة تَرامَتْ إليكم فى شأننا !

حازم : لقد حمل إلينا ابنُ فياض نَعْيَ عنترة ...

عطمطم « مقهقها » : ولماذا لم يحملْ إليكم نعيَ نفسه ؟ ... لقد لَقِينَا فى وقت كانت الخمرُ فيه قد لعبتْ برأسه ، فلا غروَ أن يرى الأحياءَ أمواتاً والأمواتَ أحياء !

« تقدم دعجاء ونجلاء ...

يقع بصرهما على عطمطم فتذهلان »

دعجاء ونجلاء « صائحتين معاً » : عطمطم ! ... عطمطم ! ...

عطمطم « مقبلا عليهما متصايحا » : دعجاء ... نجلاء ... يا لله ... كدت أُنكِرُكما !

دعجاء : لماذا ؟

عطمطم « وقد أحاطهما بذراعيه » : أزددتما فتنة تتخاذل دونها فتنة بنات فارس !

نجلاء : وأنتَ ... كدنا ننكرك أيضا !

عطمطم : أعظمَ حُسنى ، وازداد جمالى ؟ !

نجلاء : لا ... ولكن ...

عطمطم « مقاطعاً فى تحسر » : إذن لقد ذَبُلَتْ فتنتى ، وضاع عمرى ! ... واحسرتاهُ عليك ياعطمطم ... لم يَعدْ لكَ حُظْوَة عند بناتِ الحىّ !

دعجاء : كدنا نُنكركَ وأنت فى هذه الحُلّة العجيبة ...

« تتلمس حلته منفحصة »

أم هَرِم : ماشهِدنا لهذه الحلّةِ مثيلًا بين أهل البادية !

عطمطم : هذا حقّ ... حُلّةٌ فاخرة نادرة .. « يتخطر فى مشيته » ولكن لاتنسَوْا أنها حُلة السفر ... ماذا تقولون إذن حين تَرَوْنَنِى فى حُللى الأخرى ، حُلَلِ الحرب مثلا ، حُلَل المحافل ، حُلَل الولائم .

حازم : إذن نظنّك من أكاسرة الفُرس أو قياصرة الروم ...

عطمطم : بل أبهى منظراً وأسمى مقاماً ! ... آهِ لورأيتم ما حملناه معنا ... عجائبُ وغرائب ... أرْهِفوا أسماعَكم ياأحبّاىَ . سأخبركم بما معنا ... قلت لكم : أرْهِفوا الأسماع ... مطارف دُمُسْتُقية ، حُلَلٌ مَرْنَبانية ، لاذاتُ مَوْصلية ، نمارِقُ زَنْجانِيَّة ، سُجوف بُوشَنجية ، طنافِسُ شِيرازية ... أما الخدم والحشَم ، والأرِقّاء والجوارى ، فحدِّثوا ولا حَرَج ...

هند : جوار ؟ ...

عطمطم : أجل ، جوارٍ تركيّاتٌ ورومياتٌ وفارسياتٌ ... قِيان لا يوجدنَ فى قصور الملوك ...

أم هَرِم : يا للعجب ... أبهذا كلّه أتيتم ؟

عطمطم : وأكثر ... آه لو سمعتم هذه القِيان وهنّ يغنين ويعزِفن على آلات الطرب ! « لحازم » ألكَ علم بآلات الطرب ؟

حازم : إنها الطبلُ والمِزمار ...

عطمطم « منهنها » : يا للغفلة ... أىّ طبل وأىّ مزمار ؟ ... أرهفوا أسماعكم يا أحِبائى ... إنها : الجَنْكُ ، والأُرْغُن ، والمِزْهَرُ ، والصَّنْجُ ، والقِيثارة ، والبَرْبَطُ ، و ...

أم هرم « مشدوهة » : البربط ؟

عطمطم : أجل ، البربط ... البربط ... تن تن تن ... « يحاكى رنين الأوتار » لو سمعتِه يا أمّ هرم وهو يرسل أنغامَه العِذاب لرأيتِ هذه البادية الجرداءَ وقد استحالت فِردوساً وارفَ الظلال تجوس خلالَه جداولُ من لَجَيْن ، ولأحسستِ قلبك يتّقد حبًّا وصَبابة ...

عبلة « لعطمطم » : لعلكم قد أصبتُم كنزاً أو أمطرتْكم السماء ذهباً يا عطمطم !

عطمطم : لا هذا ولا ذاك يا بنيةُ ... إنها الحرب ... الحرب الضّروس ... بسواعدِنا أصبْنا ما أصبناه ... فى كل أرض هبَطناها كان النصرُ معقودَ اللواءِ لنا ... لقد طوّفنا فى البلاد شرقاً وغربا ، جُزْنا

بِقاعَ السند ، وشارفْنا جبال القَفْجاق ، وطوينا سهولَ الشَّيْروان والموقان ... تُلاحقُنا الغنائم أنّى حللنا ، وتُثقلُ الأسلابُ رواحلَنا ... ألم يترام إليكم النبأُ العظيم ؟

هند : أىَّ نبإٍ تريد ؟

عطمطم : لقد عرضوا على عنترةَ مُلْكَ كُلوذِسْتان الرَّحيب ...

الجمع « يرددون » : مُلْك كلوذستان ؟

عطمطم : ولكنه أبى ! ... آثَرَ على مُلك كُلوذستان رَجْعَتَه إلى الأهل والعشيرة ... آثر أن يستأنفَ معكم حياتَه الأولى ... إنه ليُكِنّ لكم أعظمَ الحبّ لو تعلمونَ ياأحبّاى ...

دعجاء : أكان يذكُرنا ؟

عطمطم : لم ينسَ منكم أحداً ، كان يذكر الصغيرَ قبلَ الكبير ...

هند : ماذا كان يقُول فى عبلة ؟

عطمطم « مفكراً » : فى عبلة ؟ ... سألتِنى ! ... « مفكرا ايضا » ذكرتُ ، كان يقول إنها كالقِطة ، لا تُحْسِنُ غيرَ التخميش والمُواء .

دعجاء « ضاحكة ، لعبلة » : لقد أحسنَ وصفَك ياعبلة !

عبلة : إن تلك القِطّة هى التى يقول فيها :

أنتِ للعين ضياءٌ أنتِ للروح دواءْ
أنتِ ياعبلةُ أُنْسٌ لفؤادى وهنـــاء

نجلاء : إنه شعرٌ قالَه فيكِ قبلَ رحلته ...

عبلة : لقد كان يردّد شعره فىّ وهو فى بُحران الحمّى ، وسيفُ الموت على رأسه مُصْلَتٌ ! « لعطمطم » ألم يفعل ؟

عطمطم : أذكرُ أنه كان يردّد نشيدَه هذا فى بدء حياته هنالك ... ولما طوته الحياةُ الصاخبةُ فى لُجّتها ، ودفعتْ به الحربُ فى مَعمعانها ، رأيتُه قد استبدل بهذا النشيد نشيداً آخرَ كان يرغبُ إلىّ فى أن أُلقيَهُ على سمعه ...

عبلة « مهمهة » : أجَرُؤ على أن يفعلَ ذلك ؟

هند : أىّ نشيد كنتَ تُلقيه على سَمعِه ؟

عطمطم : أرْهفوا أسماعَكم ... « ينشد » :

وفى يومِ المعامع قد تركْنا لنا بقَعَالنا خَبَراً مُشاعا
أقمنا بالذوابل سوقَ حرب وصيّرنا النفوسَ لها متاعا
حِصانى كان دلّالَ المنايا نخاض غمارَها وشرَى وباعا
وسيفى كان فى الهيْجا طبيباً يداوى رأسَ من يشكو الصُّداعا

حازم « يضحك ، وهو يردد » : يداوى رأسَ من يشكو الصداعا ! ما أظرَفَه !

عبلة « مهمهة » : سَخَفٌ وهُراء ...

دعجاء : يلوح لى أنه كان لا يَعنيه إلا سيفُه وحِصانُه ...

عطمطم : الحرب ... الحرب دائما ... كانت تملأُ رأسَه ، فلا يفكر إلا فيها ... « يلتفت إلى الواقفات حوله » ولكنه لم يتسكّنْ ... لقد أعدّ لكلٍّ منكنّ هدية فاخرة ...

هند ودعجاء ونجلاء « معا » : بماذا أتى لنا ؟ بماذا أتى لنا ؟

عطمطم : صبرًا كُنَّ ياصغيراتى ... إنه سرٌّ لعنترة لايبوحُ به لأحد ...

عبلة : إنى أعرف ماخصّنى به ... لا أُجَشِّمُكَ مَشَقَّةَ البَوْح بالسرّ ... إنه حجر الزبرجد !

عطمطم : ليس لى أن أتكلمَ فيما لاأدريه ، ولكنى على يقين أن وِفَاضَه مَلْأَى بغوالى التُّحَف وروائع الأمتعة وبدائع الحُلِىّ ... اطمئنوا ... لَيُغْدِقَنَّ عليكم طرائفه ! ... لم أحدثكم بعدُ فى أعجوبة الدهر ومعجزة الدنيا ...

هند : ماذا تقصدُ ؟

عطمطم : أقصد بَهْرُوزَ ... الطاهى الذى استقدمه عنترةُ معه ليُعِدَّ لكم طعاماً لم تعرفوا له من قبلُ مَذاقًا ...

أم هرم : كيف ؟ أليس فينا من تُحْسِنُ طَهْىَ الطَّعام ؟

عطمطم : وهل تحسَبين ياأُمَّ هرم أن عنترةَ يُسبغ الآنَ أكل الثريد والمجيع ؟ ... إن طاهِيَنا نَوْ بَنْدَجانِىُّ المَنْبِتِ ، قد بَرَع فى صنع الفالوذق المُزَعْفَر ، واللَّوْزِينَج المعطار ، والطَّباهِج الرَّشْرَاش ، و ...

« تسمع ضجة ، فيمسك عن الكلام عطمطم ، وينصت الجمع ... ثم يصيح عطمطم » :

إنه هو ... عنترة ...

حازم « وقد تطلع إلى مبعث الضجة » : هاهو ذا مع الشيخ مالك ، وحولهما لفيفٌ من بَنِى العشيرة .

« لاتكاد عبلة تسمع ذلك حتى تتسلل إلى خبائها فتغيب فيه .
هند تقفو أثرها . »

دعجاء « لنجلاء ، جانباً » : يحسُنُ بنا ألّا نَلقاهُ فى هذا الحَشْدِ الجَمِّ ... هلمّى نرحلْ يانجلاء ...

نجلاء « لدعجاء ، هامسة » : حقا لايحسُن بكِ أن تُلاقِيه وأنتِ عاطلٌ لازينةَ ولا طِيب ! ...

دعجاء : حسبُك ! ماهذا ؟ ...

« تنصرفان .
الضجة تزداد ، ويسمع تصايح القوم وهتاف الفتيان وأغاريد النساء .
عنترة يبدو فى حلة بالغة البهاء ، وهو يتخطر فى خطاه ، وقد أحاطت به من رفقته لمة ، بينهم مالك وابن فياض وسراقة وبجير وابن الواهد ...
خلف عنترة مواليه فى ثياب فارسية زاهية ، وهم شاهرو السلاح ... »

عنترة « فى لهجة الامارة ، لأحد مواليه » : هيا ... لاتتوانَوْا فى ضرب الخيام ، وأحسنوا تنسيقَ البُسُطِ ونثرَ النمارق وتعليقَ النباريس وإطلاقَ البَخور ... أسرعوا ...

مولى عنترة : السمع والطاعة ! « ينصرف مهرولا »

عنترة « لمولى ثان من مواليه » : مُرْهُم يَفُكّوا وَثاق الصناديق ويضعوها فى الخباء الكبير ... ولْيَقُمْ على حِراسَتِها أزْدَشِيرُ ، أسرعوا ...

المولى الثانى : السمع والطاعة ! « ينصرف مهرولا »

عنترة « لمولى ثالث من مواليه » : قل لبهروز أنحَرْ عشرين جَزُوراً ، وفَرِّق لحومَها فى الناس . وقل لرِنجان امنحْ ذوى الحاجة

أعطيات من الدراهم والدنانير ...

المولى الثالث : السمع والطاعة ! « ينصرف مهرولا »

عنترة « لمولى رابع من مواليه » : وهذا الرجل الذى تصدَّى لى فى الطريق مستخفا فصرعتُه ، ماذا صنعتم به ؟

المولى الرابع : ألقَيْنَا جُثَّتَه بجوار صخرة مَعاد .

عنترة : فليُدَقَّ له عمودٌ هناك ، ولتعلقْ جُثَّتُه ثلاثةَ أيام نُهْبَةً للنُّسور والغِربان ... لقد تصدى لعنترةَ ، فليلقَ أشدَّ النَّكال !

المولى الرابع : السمع والطاعة ! « ينصرف مهرولا »

عنترة « يلتفت حوله » : أين أردبيل ؟ ... أين أردبيل ؟ ...

« تمضى برهة لايجيب فيها أحد ، فيصيح » : أين أردبيل ؟

« يظهر أردبيل وهو يرعد خوفا » أُقبِلْ أيها الآذنُ الماهر ... كيف سَمَحْتَ لهذا الأعرابىِّ أن يتصدَّى لى فى الطريق ؟

أردبيل « فى ذلة وتخوف » : مولاى ... لقد كنت ...

عنترة : اذهب إلى بِسْطام فدعه يضربْك خمسين سَوطاً ، جزاءَ تفريطك !

« يتضرع أردبيل ويتشفع ... يرميه عنترة بنظرة نكراء » قلت لك امضِ إلى بِسطام يُنْفِذْ فيك عقوبةَ التفريط ... خمسينَ سَوطا !

أردبيل « وهو يطأطئ رأسه » : أمرُ مولاى ...

« ينصرف ... يقع بصر عنترة على حازم وأم هرم »

عنترة « لحازم وأم هرم » : من أرى ؟ ... حازماً ؟ ... أمَّ هَرِم ؟ ...

أَقْبِلَا ، أَقْبِلَا ، « يبسط لهما ذراعيه ، فيقبلان عليه ، فيحييهما » كيف أنتما ؟

حازم : بخير مادمت أنتَ بخير يا بُنَيّ ...

أم هرم : ألف حمد لله ... لقد اكتحلتْ بمرآك عيناى قبل أن أموتَ ... بلغتُ مناى !

عطمطم : تموتين ؟ ... من قال ذلك ؟ ... إن الموت لا يتوخّى الصبايا يا أُمَّ هرم ! إنه ليستحى أن يَمُدَّ مِنجله ليحصدَ الغصنَ الرطيب !

عنترة « متلفتا حوله » : ماأسعدنى بلُقياكم بعدَ طول ارتحال ...

مالك : لقد سُعِدَتْ بأوْبتك الديارُ يافتى العرب ...

سراقة : لقد عاد إلى البادية ربيعُها الذى يُنْعِمُ عليها بالنماء والخِصْبِ والنضارة ...

بجير : لقد استيقظتْ أفئدتُنا ودبتْ فيها الحَمِيَّةُ والفتوّة بعد أن رَان عليها سُبات عميق ...

عنترة : ألم تكن لكم غَزْوَة من الغَزَوَات فى مَغِيبى ؟

ابن الزاهد : كانت لنا مناوشاتٌ لاشأنَ لها ... أعوَزَنا الرأسُ المدبّر ، والساعدُ الأشدّ ، والقلب الجسور ، فتهيَّبْنا جلائلَ المواقع !

عنترة : إنى لمشوق إلى الخروج معكم فى غزوة نَفتك فيها بالعدوّ ... خبِّرونى : ألم تُؤَمِّروا عليكم سيداً يقود جموعَكم إذا جدَّتْ الحرب ، بعد أن أتاكم نَعِيّ ؟ « يتبادل بجير وابن الزاهد نظرات الحيرة »

ابن الزاهد : لم نصدّقْ شائعاتِ السوء ... أنت السيدُ غبتَ

أو حضرت ... طال عُمْرُك !

عنترة « يلتفت إلى ابن فياض » : ولكنَّ أخانا هذا يدّعى أنه أنزَلَنِي اللحدَ ووَسَّدَنِي التراب ...

ابن فياض : لم أنبِس بمثل هذا القولِ ياعنترة ...

عنترة « مغضبا » : بل نَبَسْتَ بما هو أدهى ...

عطمطم : لقد رأينا فى كِرمانَ نَمَدُّ يدَ السؤال لكل رائح وغاد !

عنترة : أعنترةُ شَرِيدٌ يستجدى !

« يمسك بابن فياض من قفاه ، ويهزه » أتجرُؤ أن تقولَ مثل هذا ؟

ابن فياض : نزلتْ علىّ من السماء صاعقةٌ إن كان لسانى قد جرى بمثل هذا ...

عنترة « وقد دفع ابن فياض فألقاه بعيداً » : لم يَلْتَهِ حسابُك معى بعدُ ... آغْرُبْ عن وجهِيَ الآن ...

« ينصرف ابن فياض وهو يتعثر وجلا . هند تسارق النظر من جانب الخباء ، ثم تخرج ، فيقع عليها بصر عنترة ، فيحدق فيها مليا ... »

من ؟ هند ؟ أقبِلى ... أقبلى ...

« يبسط لها ذراعيه ، فتدنو منه فى تردد وخجل ... »

لِمَ هذا التباطؤ ؟ تعالَىْ إلىّ ...

عطمطم : إن هندا لَحَيَّةٌ ... إنها لأقربُ شَبَهاً بالنَّيْلُوفَرةِ الغَضَّة ، تخشَى دائماً ألحاظ الرقباء ... !

مالك : نَيْلُوفَرَةٌ ؟ ماذا تَعْنِي ؟

عنترة « ناظراً إلى هند » : لقد أحسن الوصفَ عطمطم ... إن النَّيْلوفَرَةَ

أميرة زهر الماء ... ياهند ...

هند « وقد تدانت منه » : عنترة ...

عنترة « وقد أحاطها بذراعيه » : إن شمس البادية ياغادتى الصغيرة تجيدُ إنضاج الأجسام ... لقد أصبحتِ فتنةَ الصحراء !

هند : وكيف أنت ؟ ألقيتَ من السفر عناء ؟

عنترة : إن كلَّ عناء ليذوبُ ويتزايل حين تَقَرُّ العينُ بمرأى الأهل والعشيرة ... وأنتم ، كيف حالكم ؟

هند : نحن فى خير وسلام ...

عنترة : وصُوَيْحِباتُكِ ؟ كيف حالُهن ؟

هند : كلهن على مايرام ، كنّ دائماً يسألْنَ عنك ويَتَسَقَّطْنَ أخبارك ...

عنترة : لا أرى منهنَّ واحدة ...

هند : تركتُ عبلةَ فى الخباء تَتَأَهَّبُ للخروج إليك ...

عنترة « وقد بدا عليه تنبه ويقظة » : عبلة ؟ ... كيف هى ؟

« تنظر عبلة من جانب الخباء »

أما بَرِحَتْ على حالها طفلةً تَخْمِشُ وتَمُوءُ كالقِطَّة العابثة ؟

« يفهمه عنترة فيتضاحك الجمع مجاراة له » لماذا لم تجئ ؟

« تقبل دعجاء ونجلاء » من أرى ؟ دعجاء ؟ نجلاء ؟ أقبلا . أقبلا .

« يحييهما مشرق الوجه ... يلتفت إلى عطعطم »

ماقولك ياعطعطم فى غِيد البادية ؟

عطمطم : نَيْلُوفَراتٌ نواضرُ نَمَّاها جَدْوَلٌ رَقْرَاق !

عنترة « لدعجاء ونجلاء وهند ، ناظراً إليهن بشغف » : حقًّا ما أسعدني برؤيتكن !

مالك : عجباً لعبلة ... أين هي ؟

هند « منادية » : عبلة ... عبلة ... إن عنترةَ يطلبك .

« تظهر عبلة أمام خبائها متلفعة بجلد الضرغام ... تلبث واقفة كأنها ترتقب تقدم عنترة لتحيتها . يقبل عنترة فجأة على مالك منهمكا في الحديث . »

عنترة « لمالك » : كان المطر غزيراً هذا العامَ في البادية ... فلم تَشْكُ قَحْطاً ولا جَدْباً ... أليس كذلك ؟

مالك : كان الخير وافراً ... « تسرع هند إلى عبلة وتودع سمعها كلمات »

هند « لعبلة » : تقدمي ... يلوح لي أنه لم يَرَك ...

« تلبث عبلة واقفة ... تصيح هند بعنترة »

تلك هي عبلة ... عبلة ...

عنترة « يلقي نظرة على عبلة ، ويقول في لهجة لا تخلو من مجاملة » : عبلة ... تقدَّمي ... كيف أنتِ ؟

عبلة « وهي في مكانها » : أنا بخير ... وكيف أنت ؟

« يذهب مالك إلى عبلة ، ويأخذ بيدها إلى عنترة »

مالك « لعنترة » : إنها حَبِيبَة ... نَفور ...

عطمطم : نَيْلُوفَرَةٌ أخرى !

عنترة « لمالك » : عَهِدْتُها شيطانة لا تفتأ تلهو وتعبث !

مالك : ذلك عهدٌ مضى ... لقد تغير اليومَ طبعُها ، وبُدِّلَتْ حالاً بحال !

هند : إنها تلوذُ الآن بالصَّمت ، وتلازمُ دائما مِغْزَلَها ...

عنترة « لعبلة » : كيف ؟ أكذلكِ أصبحتِ حقا ؟

عبلة : لامبالغةَ فيما سمعت !

عنترة : ولِمَ تلوذين بالصمت وتلازمين المِغْزَلَ ؟ أفى صحبة الناس ما تَضِيقين به ؟

عبلة « رافعة بصرها إليه محدقة فيه » : لقد بدا لى أن الوفاء فيهم قليل ... !

عنترة : الوفاء يافتاتى كلمةٌ جليلة المعنى ، أخشى ألا تكونى مدركةً إياه ...

عبلة : إنى لَأُدْرِكُ معنى الوفاء حقَّ الإدراك !

عنترة « متضاحكا ، وهو يميل على مالك » : إنها تتكلم بلهجة الحكماء والكُهَّان !

مالك : ألم أقلْ لك إنها تبدلَتْ خَلْقاً آخر ؟

هند « لعنترة » : أتجدُها قد تغيرتْ حقا ؟

عنترة « محدقا فى عبلة ، مخاطبا هنداً » : أراها قد ازدادت سُمرة ...

هند : إنها لعلىٰ خلاف ذلك ... كيف تزدادُ سُمرة وهى لا تَريمُ خباءَها إلا قليلا ؟ ...

عطمطم : قد يكون قولُك الحق ياهند ... ولكن لاتنسىْ أن عيونَنا قد أَلِفَتْ رؤية البيض النواصع من نساءِ الفرس والروم ، فأصبحنا نرى لو تكن أشدَّ سُمرةً مما كنا نرى ...

مالك : وهل فى السمرة ماُيعاب ؟

عطمطم : لا ... إنما هى الحسنُ خالصاً !

ابن فياض « لعطمطم » : ربما كان لعنترةَ رأىٌ غيرُ ماترى ...

عنترة : الحقُّ أن لكلِّ لون روعتَه ... فالنياق تختلف ألوانُها ولكل لونٍ فضلٌ ومزية ...

هند : ماهذا ؟ أنياقٌ نحن ؟ ...

عطمطم : فِيكُنَّ منها شَبَهٌ ، الرشاقةُ والدلال والنِّفار والظَّرْفُ والحماقة و ...

مالك : لم يخبرْنا عنترةُ أىَّ ألوان النياق يفضّل ؟

عنترة « متضاحكا » : ألوانها عندى سواء ... ولقد اقتنيتُ منها طائفةً مختلفةَ الألوان ، وإنى بها لسعيد ...

عطمطم : هذا شأنُ عنترةَ مع الجوارى أيضاً ...

سراقة « لعنترة » : عجباً لك ياعنترة ... ألا تُؤثر لوناً على لون ؟

عنترة : فى أىِّ النوعين : الجوارى أو النِّياق ؟

سراقة « متضاحكا » : فى كليهما ... !

عنترة : حين يشتبه علىّ الأمرُ أدْعُو بعطمطمٍ يتخيَّر لى !

« يتضاحك الجمع »

عبلة : وهل يُحِسُّ عطمطم مايهفو إليه فؤادُك ؟

عنترة : إنى بِذَوْقِهِ لراضٍ على أية حال ... وإنه ليُحسن الاختيارَ أيَّما إحسان ... فى هذا الأمر وحدَه ! ولستُ أعهد إليه فى اختيار سيف أو فرس ، فهذا أتولاه بنفسى ، ولاأعوِّل فيه على غيرى ! ...

عطمطم : إنك لتغلُو ياسيدى ...

ابن فياض « لعطمطم » : حَسْبُكَ مانلتَ من خبرة وتَجْدٍ فى شئون الجوارى والنياق !

« يتضاحك الجمع . يدخل مولى من موالى عنترة ، ويدنو منه . »

المولى : وَفَدَتْ أشياخُ بنى الأرقم وبنى أيْمَنْ وبنى صاعد ترغب فى لقائك ...

عنترة : أدْخِلْهُم الفُسطاط الكبير ... « لمالك » ألا تَسْبِقُنى إليهم ؟ إنى لاحقٌ بك بعد هنيهة ، أريد أن أستبدلَ بثيابى ثياباً أخرى .

مالك : سأفعل ... « يلتفت إلى الجمع » : فلنمضِ إلى الوافدين نؤدّى لهم حقَّ الحفاوة ...

« ينصرف مالك ، والجمع فى أثره .

لايبقى إلا عنترة وعبلة وهند ودعجاء ونجلاء وعطمطم »

هند « لعنترة » : كيف ترى البَيداءَ بعد غَيْبةٍ عامَين ؟

عنترة : أراها كما هى ، فريدةً فى عظمتها !

هند : إنك لتخادِعُ نفسَك ...

عنترة : كيف ؟

دعجاء : هند على حق ، لقد أَلِفْتَ حياةَ الحَضَرِ ، وتعودتَ عيش الرخاء والترف ، فليس بِدْعاً أن تبدوَ لك البيداءُ تافهة تبعث على الملل ...

عنترة : حسبى أن أحيا بينكن ، فأُحِسّ الدنيا حولى فردوسَ بهجة ونضارة !

هند : خِداع ومغالطة !

عنترة : مابرحتِ على حالِكِ ياهندُ طفلةً مُلِئَتْ عِناداً ... أخطأتُ

إذ حسبتكِ قد صِرْتِ صبيةً مكتملةَ العقـل ... أين فيما قلتُ المغالطةُ والخداع ؟

هند : أتريد الحقَّ الصُّراح ؟ ...

عنترة : لاأريد سواه ...

هند : إنى لأكاد أعرِفكَ !

عطمطم : آذهب فاستبدلْ بثيابك الفارسيةِ ثيابَ البـادية ، حتى لايُنْكِرَكَ الأهل ...

عبلة : الثياب مظهرٌ خارجىّ لاشأنَ له بباطن النفس ...

عنترة : أتغيرتُ حقا ؟

هند : إنى لا أنظر إليكَ نظرة إلا عَرَتْنِي رِعدة ... !

عنترة « ضاحكا » : أوَ أصبحتُ مخيفاً إلى هذا الحد ؟

عطمطم : كنتَ قبل أن ترتحلَ عن البادية مخيفاً ... لستُ أنسى أن الأمهاتِ كن يخوِّفن بك أطفالَهن !

عنترة « يرمقه بنظرة شزراء » : عطمطم !

عطمطم : لماذا تنظر إلىّ هذه النظرة ، لزامٌ علىّ أن أصارحك بالحق !

عبلة « لعنترة » : لم يَفْتَرِ عليك عطمطم ، لقد كان ظاهرك يُلقى الرعبَ فى النفوس ، ولكنك كنتَ تُكِنُّ بين جوانحِك قلبَ حَمَلٍ وديع !

عنترة « لعبلة » : والآن أىَّ قلبٍ أُكِن بين جوانحى ؟

عبلة : سؤالٌ جوابُه إليك !

هند : يبدو لى أنه ليس قلبَ حَمَلٍ على أية حال !

عطمطم : القلبُ لا يتبدَّل ...

نجلاء : قد يعترى القلبَ بعضُ التغيُّر ...

عبلة : ولكنَّ جوهرَه يبقى كما هو ...

دعجاء : قد تتغير اتجاهاتُه ومنازِعُه ...

عبلة : العِبْرَةُ فى كلِّ شىء بالجوهر ...

دعجاء : إن القلبَ يَلِينُ لملابَساتِ الحياة ودوافعها ...

عنترة : أسائلُ نفسى : أينّا الذى تغير ، أنا أم أنتنَّ ؟ ... أهؤلاء صبايا البادية اللواتى تَرَكْتُهُنَّ غريراتٍ فى سذاجةِ الطفولة ؟

عبلة : أكنتَ تريد أن نظلَّ أطفالا أبدَ الدهر ؟

عنترة : كلا ... وكذلك الحَمَلُ الوديع لا يظلُّ أبدَ الدهر حَمَلا وديعا ! ... إنه ليغدو كَبْشاً عنيفا ... !

عبلة : إن بين الكِباشِ ما ينكشف لك عن وداعة الحُمْلان ! ...

هند : أجبنى ياعنترة ، فيم طالت غَيْبتك ؟

عنترة : شغلتنى الحربُ ياهند ... لاأنتهى من موقعة حتى أخوض غِمار أخرى ... وللحرب يافتاتى سحر يأسِر القلوب ! ... إنها الحرب : سيوف تلمع ، ورءوس تتطاير ، ودماء تتسايل ، وغبار يَعقِد فى السماء سحائب ، وأصواتٌ هدّارة يردِّد أصداءَها الفضاءُ الرَّحْب ... وأنا على صهوة « الأَبْجَرِ » : حِصانى الأعزّ يصدَع

بحمحمته الصفوف ، وبيمينى « الظامئ » : سبنى المسلول تتهاوى على حدّه الهامات ... تلك هى الحربُ التى وَهَبْتُها عقلى وقلبى ووقفتُ عليها عُمرى أجمع !

هند : ولكن خبرنى : أمن أجل الحرب رَحَلْتَ عن الديار ؟ ماكانت المعارك تُعوِزُك فى البيداء !

عنترة : ليست معاركُ البيداء بالتى تَشْفِى غُـلَّةَ الصادى ... شراذمُ قليلةٌ يعادى بعضُها بعضاً فى غير حَمِيَّـةٍ ولا تحمُّس ! ... أمّا هنالك فجيوش حاشدة ينحسر عنها الطَّرفُ ، إذا أقبلتْ أوأدبرتْ خلتُها العُباب تتدفّع أمواجُه ويعلو صَخَبه ، ثم لاتنجلى الموقعة إلا عن أسلاب وغنائمَ يُخطئُها الإحصاء ، وإذا بالمنتصر تدين له بلاد وخلائق ، وتنحنى له رءوس زانَتْها التيجان ، وإذا بالدنيا مقبلة تزُفُّ الجاه والسلطان ! ...

هند : كلنا يعـلم أنك رحلتَ عن الديار من أجل عبلة ... تطلبُ لها حجرَ الزبرجد !

عنترة « مردداً فى تذكر » : حجر الزبرجد ؟ ... حجر الزبرجد ؟ ... ربمـا كان ماتقولين حقًّا ، بيد أنى ماكدت أغادرُ الديار حتى أَلْفَيْتُنِى قد اندفعتُ فى حربٍ موصولةِ الوقائع ، لاأُبالى إلا النصر وكسبَ المغانم ... وأبصرتُ الفرصة قد واتتنى لأقيمَ لهذا « العربىّ » الذى استهان به أعلاجُ العجم صَرْحاً يَتَعالَى على كل صرح ، ومجداً يتصاغرُ دونه كلُّ مجد ... لقد تركتُ فى كل

بقعة حَلَلْتُ بها أثراً مذكوراً من آثارى وخبراً ذائعاً من أخبارى ، فالناس يتنافلون حديثى فى رَهبة وإكبار ...

دعجاء : حَسَنٌ ماتقول ، ولكنّ أكبرَ الظن أن الحربَ لم تكن وحدَها شغلَكَ الشاغل ! ... ليس ببعيد أن تكون حياةُ الفرس بما فيها من مناعمَ وأطايبَ هى التى حجزتْك عنا هذا الزمنَ الأطوَل ! ...

نجلاء : حياةُ رفاهة فى القصور بين الغوانى والقِيان ... نحن نعلَم أن لعنترةَ قلباً طَيِّعاً لألحاظ الحسان !

عنترة : كان لى هذا القلبُ أيامَ كنتُ أمْرَحُ فى سذاجة البداوة ... أما اليومَ وقد خضتُ غِمار الحياة فى فارسَ وبلوْتُ معابثاتِ الهوَى بين الغِيد ، فلم يعد لى فؤاد يَهتَزّ لسحر العيون ! ...

دعجاء : وهاته الجوارى اللواتى يزْدَحِم بهن خباؤك ؟

عنترة : إنهن لِسَوانح المتعة وحسبُ ... « يخاطب الجمع » : لماذا لم تَسْأَلْنَنِى عما أحضرتُ لكنّ من هدايا وطُرَف ؟

عطعطم : يالها من هدايا وطُرَف ! ... حلىّ نادرة ، وملابسُ فاخرة ... أقراطٌ ، وشُنُوف ، ومعاضد ، وعصائب ، وخلاخل ، ودمالج ، ودُرّاعاتٌ ، وتُبّانات ، وقراطِقُ ... حتى الخِفَافُ المبرقشة لم يَنْسَها ... آه من الخفاف المبرقشة ياأحبّاى ! ... شد ماتَجْمُلُ القَدَم فى هذه الخِفاف حين تتخطّر على البِساط الموشّى ! ... كل ذلك لكنّ أنتن ، يُتحف به عنترةُ صويحباتِه الصغارَ من بنات العَشيرة ... « يهمس فى آذانهن » : إنه ليضمرُ لكنّ أكبرَ الحب !

هند : ألسنا لهذا الحبِّ أهلا ؟ ... سَلْنى ماذا فعلتْ هذه الصويحباتُ الصغارُ حينما جاءهُنَّ نبأ مصرعه ...

عنترة : ماذا فعلْتُنَّ ؟

نجلاء : أقامت دعجاءُ لك قبراً كانت تَسُحُّ عليه الدموع ، تناجيك وتناديك .

عنترة « وقد شد على يد دعجاء » : يا للوفاء ! ... وأين مكان هذا القبرِ يادعجاء ؟

دعجاء : لقد هَدَمْتُ القبر ياعنترة !

عنترة : كيف ؟

هند : هَدَمْتُه حين انتهى إليها أنك ماتزال حيًّا ... ما أغناها عن القبر الآن وقد رَجَع إليها صاحبُ القبر ... !

عنترة « لهند » : وأنت ياصغيرتى ماذا صنعْتِ حين وافاك نَعِيِّ ؟

نجلاء : كانت تذهبُ إلى الربوة ، ربوتِكَ التى كنتَ تألفها ، فتذكُرك وتناجيك !

عنترة « لهند » : لقد أحسنتِ الاختيار ... شكراً لكِ !

« يلتفت إلى نجلاء » : وأنتِ ماذا كان صنيعك ؟

هند : كانت تَؤُمُّ الشِّعْبَ الذى كنتَ تتخذه مَرْقَبَةَ اصيدك ، فتذكرك وتناجيك !

عنترة « لنجلاء » : يا لَنَبالة النفس ! ...

« يقف أمام عبلة محدقاً فيها ملياً » : وأنتِ ، ماذا فعلتِ ؟

هند : كانت تختلفُ إلى غدير ذات الأرصاد ...

عنترة : ما أجملَهُ مكاناً !

هند : بل ما أعزُّهُ من مكان ! ... أليس هو موطنَ حبكما ومهدَ هواكما ؟

عنترة : ظريفٌ ماتقولين ... « لعبلة » : أكنتِ تختلفين إلى غدير ذات الأرصاد لكى تذكُرينى وتُناجينى ؟

عبلة : كلا ...

عنترة : إذن لم تفعلى من أجلى شيئا !

عبلة : ماذا كنتَ تريد منى أن أفعلَ ؟

عنترة : أن تَذْرِفى علىّ دَمعة واحدةً ... واحدةً على الأقل !

عبلة : كنتُ أعلم أنك عائدٌ إلينا لامحالة ...

عنترة : أكان مُحالا أن أهلِكَ ؟

عبلة : لن تَهْلِكَ قبل أن تُنيلَنى ماطلبتُ !

عنترة « ضاحكا » : لقد جلبتُ معى عجائبَ وغرائبَ ، فتخيَّرى منها ماتُحبّين ...

عطمطم « لعنترة » : أما آنَ للصناديق أن تُفتَح ، وأن تتلَّسمَ الهدايا عبيرَ الصحراء ؟

نجلاء : فى الوقت فُسحة ...

عطمطم : خيرُ البرِّ عاجِلُه ياحسنائى !

عنترة : إنه ليذوبُ شوقاً إلى فتح الصناديق من أجل نفسه ...

دعجاء « لعطمطم » : ألك فيها مَأرَب ؟

عطمطم : مآرب شتى ياحسنائى ! ... لقد وعدنى مولاى عنترةُ أن يخصَّنى بِطُرَف نفيسة ، جزاءَ ماصنعتُ من جميل ...

عنترة : أصنعتَ لى جميلا ؟ أخبرْنى ماهو ؟

عطمطم : أتنكر أنك أنجيْتَنى من هلاك محتوم فى وقعة « المـاطر » ؟

عنترة : أذكر ذلك ...

عطمطم : لو منعتُك أن تُنْجِيَنِي ، وتركتُ جسمى تخترمُه سيوفُ العِدا ، فماذا كان يقع ؟

عنترة : كنتَ تموتُ ويعفو أثرك ...

عطمطم : بل إن عنترةَ العظيمَ هو الذى لاقدَّر الله يندثر أثره ويضيع ذكره ! ... إن موتَ عطمطم راويةِ عنترة وناقلِ أخباره ومذيعِ اسمه فى الخافقين لَيُعَدُّ من المصائب الجِسام التى ألزمتُ نفسى بأن أدفعَها عنك . اطمئن ، لن أتخلَّ عنك قط أيها المولى العزيز !

عنترة : حقًّا ما أكرمَ ماصنعت ! « تضاحك الفتيات »

عطمطم « للفتيات » : إن من بين ماوعدنى عنترة بإهدائه إلىّ ، طيلساناً من الخَزّ الخُسْرَوانىّ له لون الأُرْجُوان . . . ليس فى سائر التحف ما يَعْدِلُه نفاسةً إلا طيلسانَ شيخنا مالك . إلىّ ياصويحباتى ، إلىّ لكى أُطْلِعَكُنّ على مالا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ وعت ولا خطرَ ببال !

هند : هيا . . .

عنترة « لعطمطم » : افتح الصناديق ودَعَ الفتياتِ يتخيَّرْنَ مايُحِبْنَ . . . أسامعٌ أنت ؟

عطمطم : السمع والطاعة لمولاى . . .

« ينصرف آخذاً بيد هند ومعها دعجاء ونجلاء ... تبقى عبلة مع عنترة »

عنترة : لِمَ لَمْ تَمْضِى مع عطمطم لتخارى لك شيئاً ؟

عبلة : ليست هديتى التى أريدُها من هذه الهدايا . . . أنتَ بهديتى عليم !

عنترة : تَعْنِينَ حجرَ الزبرجد . . .

عبلة : لا أعنى سواه !

عنترة : ألا تروقُك قلائدُ العِقْيان وعقودُ الجُمان ؟

عبلة : يروقنى أن تُنْجِزَ وعدك إياى ! . . . وعدَك الذى من أجله اغتربت ، وفى سبيله تجشمتَ المصاعب والأهوال . . .

عنترة « متضاحكا » : ليتَكِ طلبتِ شيئاً أثمنَ من حجر الزبرجد ! . . . لقد كان يباع فى أسواق فارس كما يباع التمر فى البوادى . . .

عبلة : ألم تُحضرْهُ ؟

عنترة : أمُصِرَّةٌ أنتِ على أن تطلبيه ؟

عبلة : سبق لى أن طلبتُه ، وسبق لك أن وعدتنى به . . . هذا كلُّ ما فى الأمر !

عنترة : سأكلّف عطمطما أن يُحضرَه لك الآن . . .

« يلتفت نحو الطريق الذى سلكه عطمطم ، ويهم بأن يناديه »

عبلة . لا تَعْجَلْ ، إنه الآن فى شُغُل ، يوزع الطُّرَفَ على الصويحبات .

عنترة : وَدِدْتُ أن تنتقى لكِ بعضَ تلك الطرف . . . ماقولك فى الخلاخل العسجدية المرصّعة بفصوص اللؤلؤ ؟

عبلة : لا أُحبُّ الخلاخل ، إنها كقيود الأسرى تُشعر من يَلْبَسُها بالمذلة !

عنترة : عجبا . . . أتَرَيْنَها كذلك ؟

عبلة : وإنى لأرى « الرجلَ » مشغوفاً دائما بإهدائها إلى من يُحب !

عنترة « مبتسما » : أرجح أنه يُؤْثِرُ ذلك ليضمنَ بقاءَ محبوبته فى كَنَفه ...

عبلة : وإذا كانت محبوبتُه مقيمة على عهده وفية لودِّه ، فما حاجتُه إلى القيود ؟

عنترة : ... ألا تروقُك الدُّراعاتُ ؟ لقد جئتُ بأشكال بديعة منها .

عبلة : إنى لَأُوثر عليها قمصانَ البَدو ...

عنترة « وهو يتفحص ثيابها بنظراته » : ماذا تلبَسين ؟

« يلحظ أنها متلفعة بجلد الضرغام »

عبلة : إنك لترى ما ألبَس ...

عنترة : جلد ضِرغام !

عبلة : كلا ... إنه جلدُ الضرغام ياعنترة ... ألا تذكر موقعَته ؟

عنترة : أذكرها ... لقد كانت إحدى معابثات الصبا !

عبلة : كادت معابثاتُ الصبا هذه تورِدُك موارد الهَلَكة ...

عنترة : ياللَّسذاجة ! ... أيةُ هلكة ياعبلة ؟ إن صراع الضرغام لَيُعدُّ مداعبة إذا قيس بصراع الجحافل فى ساحة الوغى ... !

« يحد بصره فى جلد الضرغام » أراكِ مازلتِ متعلقةً بجلد ضرغامك هذا على الرغم مما لَحِقه من تغير ...

عبلة : إنى لممن يتعلقْنَ بأذيال الماضى ، ويَحفظْنَ العهد ، حتى لِسَقَطِ المتاع ! ... ربما كان ذلك فيما ترى سذاجة وقِصَرَ نظر !

« تتفحص جلد الضرغام مليا » أنتَ على حق ... لقد أدركه البِلَى ...

فما يحمل بمثلي أن تلبسه ... سأُلقي به !

« تخلع عن كتفيها جلد الضرغام وترمي به أمام الخباء » ذكرتني أمراً ، لم أسألك كيف كان صيدك بقلب الضرغام بعد أن أصبتَ منه مقتلا ؟

عنترة : عجيبٌ أمرُك ياعبلة . . . تسألينى عن أشياءَ لاأعِى منها قليلا أو كثيراً !

عبلة : قيل لى إنكَ أخذتَ قلبَه معك تذكاراً لهذه الموقعة . . .

عنترة « مبتسما وقد عقد يديه إلى صدره » : أحقًّا أخذتُ قلب الضرغام معى ؟ لو كنتُ فعلتُ لكان قد أصابه العَطَب !

عبلة : جوّ فارس قُلَّبٌ لا يساعد على حفظ قلوب الضراغمة !

عنترة : قد يكون ذلك . . .

عبلة : ماأضعفَ هذا القلبَ الذى لايقوى على تقلّب الجوّ !

عنترة : ليس لضعف القلب شأن ، إنما هى سُنَّةُ الكون : تغيرُ وتبدّل بين عشية وصباح !

عبلة : يخيل إلىّ أن هذه السُّنَّةَ لم تغزُ بعدُ صحراءَنا الجافة ، حيث تظل القلوبُ فيها على حال واحدة لايدركها الوَهَنُ وإن طال المدى !

عنترة : مازلتِ تذكرين الصحراء كأنها قلبُ الدنيا الخفاق ... أنتِ تعيشين ياصغيرتى فى هـذه البقعة معصوبةَ العينين لاتُبصرين شيئا من حقائق الحياة . لو تخطيتِ حدودَ مكانكِ لأسفرتْ لك الدنيا عن عوالمَ رحبةٍ زاخرةٍ بشتى الطرائف والأعاجيب !

عبلة « وقد أسبلت جفنيها متحسرة » : ماحاجتى إلى هذه العوالم إذا فقدتُ

قلبى وأضعتُ وِجدانى؟ ... إنى لأوثر على هذا أن أقضىَ عمرى لا أسمع ولا أبصر!

عنترة : لغوُ أطفال! « يظهر عطمطم فى ضجة ، وهو يحمل صندوقاً ، وحوله هند ونجلاء ودعجاء ... يضع عطمطم الصندوق جانبا ، فتبدأ الفتيات فى تقليب مافيه وتعرف محتوياته ، إلا عبلة ، فانها تلزم مكانها لاتريمه ، فيلحظ عنترة ذلك منها »

ألا يَروقُكِ شىء مما تَرَين؟ عنـدى طرائفُ غـير مافى هذا الصُّندوق ...

عبلة : لقد أخبَرْتُكَ بطَلِبَتى!

عنترة « وقد التفت إلى عطمطم » : إلىّ بعُلْبة العقيق المفضضة ...

عطمطم : تلك هى معى ... لقد قدّرْتُ أنك تطلبها ... إن بها طائفة من روائع القلائد! « يخرج العلبة من صدره ، ويقدمها إلى عنترة ... يبحث عنترة فيها ، ثم يأخذ منها حجر الزبرجد »

عنترة « لعبلة » : هاكِ ماتطلبين!

« تأخذ عبلة من يده الحجر فى صمت ، وتقلبه فى يدها برهة . هند ونجلاء ودعجاء يقبلن عليها متطلعات ... تأخذ هند الحجر من يد عبلة وتحدق فيه ... »

هند : أهذا حجر الزبرجد؟

عبلة : هو عينُه ياصغيرتى!

هند : ليس فيه ما يُغْرِى!

عبلة : وليس فيه مايسوّغ تجشّمَ الأهوال فى طلبه!

عنترة : لستُ من الحماقة بحيث أدعُ مثلَ هذا الحجرِ يكلفنى أىَّ عناء! ...

لقد عهدتُ إلى أحد موالىَّ فى الحصول عليه ، فجاءنى به من أهْوَن سبيل . . .

دعجاء « وهى تنظر فى الحجر متفحصة » : حقًّا إنه حجر نفيس ...

عبلة : إذا كنتِ فيه راغبة فإنى أهَبُك إياه طيّبةَ الخاطر !

دعجاء : إنه لك وحدك ... لقد جلبه عنترةُ من أجلك أنت ...

نجلاء : دعجاء تَنْطِقُ بالحق ... حجر الزبرجد ضالّتك المنشودةُ منذ أمدٍ ياعبلة ، فما لدعجاء أن تسلبَك إياه !

دعجاء : ليس من شيمتى أن أَسلُبَ صديقتى شيئاً يصبو إليه قلبها ! ...

عبلة : إنى فيه زاهدة ، وعن رضاً منى أُنزِلُ لكِ عنه . . .

هند « لدعجاء » : أمُعْجَبَةٌ أنت به حقا ؟

دعجاء : لقد قلتُ إنه حجر نفيسٌ وكفى ...

عبلة : إنها مُعْجَبةٌ به أبداً ... وما زلت أقول إنى لن أتردّدَ لحظةً فى أن أهَبَها إياه ...

عنترة : لو كنت أعلم أن دعجاءَ مشوقةٌ إلى هذا الحجر ، لجلبتُ لها مثله ...

عبلة « لعنترة » : أحسَب أن دعجاء تُؤثِرُ على هذا الحجر تلكَ الخلاخلَ العسجديةَ المرصعة بفصوص اللؤلؤ ! هَبْها خلخالًا ...

« تتضاحك وهى تلاعب بالحجر فى يدها »

دعجاء : ماذا تقصدين ياعبلة ؟

عبلة : لاأقصِدُ شيئاً ...

عطمطم : أُقسم بربِّ الكعبة إنى لم أفهم شيئاً مما قُلْتُنّ ...

عبلة : إن من النِّعم الكبرى على المرء ألا يَفهمَ !

« تسمع ضجة صادرة من بعيد »

عنترة : ماذا ؟ « لعطمطم » امضِ فاستطلعْ الأمر ...

« لايكاد عطمطم يتهيأ للانصراف حتى يرى حازم مقبلا يهرول »

عنترة : ماوراءك ياحازم ؟

حازم « فى شىء من الذعر » : الأمير عُمارة قَدِمَ اللحظة ثائراً مُحنَقاً ...

عبلة « وقد قفزت إلى حازم » : والنِّياق العُصفورية ؟

حازم : إن فضاءَ الصحراء ليضيقُ بها ...

« عبلة يبدو عليها الابتهاج . حازم يقول لعنترة : »

إن الأمير عُمارة يامولاى لا يُؤمَن له جانب ، فلتكن منه على حذَر !

عنترة « وقد أدركه بعض الضيق ، ولكنه يتمالك ويتكلف الضحك » : الأمير ضيف ... ففيم الحذر ؟

« يظهر الأمير عمارة بغتة على رأس الربوة . فيقف وقفة المتحدى شاهراً سيفه . »

عطمطم : الأمير عمارة الكِندى ... « الجمع يتطلع إليه »

عنترة « صائحا » : مرحباً بالضيف الكريم ...

« الأمير عمارة يثب من الصخرة ، ويخطو بضع خطوات ، ثم يقف مرفوع القامة ، شاخ الأنف . مصوبا إلى عنترة نظرات بغيضة ... عنترة يتابع قوله : »

تقدم أيها الأمير ... إن عنترةَ ليرحبُ بمَقْدَمِك !

« الأمير يسير بخطا وئيدة تعبر عن اعتداد بالنفس وكبرياء »

عمارة « لعنترة » : أتذكر ياعنترةُ ماقلتُه فى آخر لقاء بيننا ؟ لقد قلتُ لك إننا سنلتقى يوماً !

عنترة « متكلفا الابتسام » : وقد التقينا ... !

عمارة : أعلى حرب ؟

عنترة : بل على سلام ووئام !

عبلة « وقد تقدمت من الأمير تحييه تحية بالغة » : أهلًا بالأمير عُمارة ... كنا نرتقبُ أوْبَتَكَ ... إن أرجاءَ البيداء لتتجاوبُ بهدير النياق !

عمارة : إنها ألف لاينقُصها واحدة ...

عبلة : عُرِفيتَ أيها الأمير ...

عمارة « لعنترة » : وحجر الزبرجد ؟

عنترة : لقد زَهِدَتْ فيه عبلة !

عمارة : يبدو لى ...

عبلة « لعنترة » : يسُرُّنى أن أُعلِمَكَ الخبر ... خطبنى الأميرُ عُمارة ، وقد رضِيتُه لى بَعلا ...

عنترة « ينظر إليها برهة نظرة تفحص ، ثم يقول فى تباطؤ » : ماأجملَ أن يجتمعَ الحَسَبُ العظيم والفتنة النادرة ! ... أهنئكما !

عمارة : يبدو لى ...

عنترة « مقاطعا وهو يربت كتفه » : يبدو لكَ أنه ليس ثمةَ بيننا مايبعثُ على الضغينة ...

عمارة « وهو يهز يد عنترة » : ماأعزَّنى بصداقتك !

عنترة « وهو يهز يد الأمير عمارة » : ماأكرمَ صُحْبَتَك !

هند « كأنها تحدث نفسها » : شىء لا يطاق ... « لعطمطم » : احمِلْ لنا الصندوقَ إلى الخِباء ... لاأستطيع أن أنتقِىَ منه شيئاً هنا ...

عطمطم : رأى صائب ... هيا ...

« يطلب إلى حازم أن يحمل الصندوق ، فيحمله ويمضى به ومعه عطمطم »

هند « لدعجاء ونجلاء » : ماوقوفكما هكذا ؟ ألا ترافقانني لنتخيرَ التحف ؟

نجلاء : لعل دعجاءَ تُؤْثِرُ أن تبقى ، ألا تَرَيْنَ الطريقَ إلى عنترة قد تمهَّد ؟

دعجاء « فى أنفة » : شدَّما تخطئين إذ تحسَبينني من هذا الصِّنف ... لقد قلتُ لكِ غيرَ مرة إن دعجاءَ تعاف أن تشربَ مُمَالة الكأس من يد أحد ! ... هيا نتخيرِ التحف ...

« تنصرف دعجاء ونجلاء . تهم هند بالانصراف ، فتستبقيها عبلة ، وتنتحى بها ناحية . »

عبلة « لهند » : سأرغب إليك فى شىء ... فهل تجيبيننى إليه دون أن تسأليني إيضاحاً ؟

هند : لكِ منى ماتشائين !

عبلة : أرغبُ فى أن تطلبي الفتى « سيفاً » ... زامرَ الحىّ ...

هند : إنه منَّا عن كَثَبٍ ... يجوس خلالَ الخيام ...

عبلة : إذن ... اسمعى ياهند ... عِى ماأقول ...

« تصر إليها حديثا . الأمير عمارة وعنترة فى مكانهما يتضاحكان ويتنادران . »

أفهمتِ ياهند ؟

هند : فهمتُ ياعبلة ...

عبلة : أجزلى عطاءه ...

هند : أفعلُ ...

عبلة : عُوفيتِ ياأختاه ! « تنصرف هند »

عنترة « لعبلة » : أحسب أن النياقَ التى جلبَها معه الأميرُ عُمارة إنما ساقها لكِ مَهرا .

عبلة : أصبتِ ، إنها لألف كاملة ، ألف من النياق العُصْفورية النادرة ...

عمارة : ومن أكرمِها عنصراً !

عنترة : لستُ فى ذلك بمرتاب ... كم لبثتَ فى سبيلِ جمعها ؟

عبلة : ستةَ أشهر ...

عنترة : أليس هذا بكثير ؟

عبلة : إنه أقلّ من عامين اثنين كما ترى ... ! « فترة صمت . »

عنترة « للأمير عمارة » : ومن أى الأصقاع لممت شَتَاتها ؟

عمارة : من أسواق كثيرة ... لقد طَوَفْتُ فى بلاد عدّة ...

عنترة : لِمَ لَمْ تقصِد خُسروان ؟

عمارة : أوَ فيها هذه النياق ؟

عنترة : تَغَصُّ بها الأسواق ...

عبلة : كحجر الزبرجد ... !

عنترة : قلتِ حقًّا ... « للأمير عمارة » لوكنتُ أعلمُ حاجتَكَ إلى هذه النياق لجلبتُ لك منها ماتريد ...

عبلة « لعنترة » : ولكننى طلبتُها منه ...

عنترة : هذا حق ... « للأمير عمارة » : إنى لأرجو أن تصلَنى بالأمير أواصرُ مودّةٍ لا يشربُ صفاءَها كدرٌ ...

عمارة : إنى لك دائماً صَفِىّ وَفِىّ ...

عنترة : لقد ساءنى ماشجرَ بيننا من خلاف قُبَيْلَ ارتحالى إلى فارس ...

عمارة : إن حَفاوتَكَ بى وحسنَ لقائك إياى اليومَ قد محوَا ماسلف ...

عنترة : لقد كنتُ فظًّا جافى الطبع ... !

عمارة : ولكنك اليوم تقطُرُ ظَرفا وتَسيلُ رقَّة ... !

عبلة : لَشَدَّما تغيَّر ... إن هواء فارسَ قد بَدَّلَ كثيراً من شمائله ...

عنترة « لعبلة » : وهواء الصحراء ؟ ألا يكونُ له أثر فى تغيير الشمائل وتبديل الطباع ؟

عبلة : لا يقلّ شأناً عن هواء فارس فى هذا الأمر ...

عمارة « لعبلة وعنترة » : ألا نذهب لنشهدَ النياقَ العُصفورية فى مُناخها ؟

« لعنترة » : إنكَ بها لخبير ...

عنترة : سأغيبُ عنكما ريثما أبدِّلُ ثيابى ...

عمارة « لعبلة » : هيا قبل أن يُرخىَ الظلامُ سدوله ...

عبلة : امضِ بنا ...

« ينصرف الأمير عمارة ومعه عبلة .

يشيعهما عنترة بنظراته ... ثم يعتلى صخرة فيجلس عليها .

تتوافد طلائع الليل ...

يرنو عنترة إلى السماء مرتقباً طلوع القمر ...

يلوح القمر زاهيا وعنترة مابرح شاخص البصر .

يبدو الفتى سيف ، ويقف عن كثب من عنترة منزويا عنه تخفيه الظلال ...

ثم لا يلبث أن يشدو ... »

سيف « منشداً » : أنتِ للعين ضياء أنت للرُّوح دواء
أنتِ ياعبلة أُنْس لفؤادى وهنـــاء

« يتسمع عنترة وهو ناظر إلى القمر ، كأنه فى حلم .
يقف بغتة وقد تملكه الغضب ... يتلفت حواليه . »

عنترة « صائحا » : مَن هنا ؟

« يقع بصره على سيف ... يدنو منه ، ويمسك به ، محدقا فيه »

مَن ؟ من ؟

سيف « فى مسكنة وتذلل » : أنا سيف ... خادمك ... سيف يامولاى ...

عنترة : أما زلتَ حيّا أيها الكلبُ الشريد ؟ ماأتى بك هنا ؟

سيف : جئتُ أناجى نفسى بأنشودةٍ فى ضوء القمر ...

عنترة : أبقصيدى تناجى نفسَك أيها الوَغْد ؟ كيف استبَحْتَ لنفسك أن تتغنّى بشعرى ؟

سيف : الخَلْقُ كلّهم يَتَغَنَّوْنَ بشعرك ، ويتذاكرون أخبارَك !

عنترة : حتى الصعاليك من أمثالك ؟ !

سيف : أُصعلوك أنا يامولاى ؟

عنترة : انظرْ إلى هيئتك ...

سيف : اخلعْ علىّ مُطْرَفًا من مطارفك الفارسية تَجْمُلْ هيئتى ويَعْلُ مقامى !

عنترة : أمْسِكْ عليكَ هَذَرَك ... قلت إنى لا أُحبّ أن يلوكَ الصعاليكُ قصيدى ... أفاهم أنت ؟

سيف : إنى لكَ مطيع يامولاى ...

« عنترة يدفعه ... يبدو عطفا عليه ... »

عطمطم : أنتَ هنا يامولاى والجمعُ هنالك ينتظرُ قدومَك ؟

عنترة : ما بَدَّلْتُ ثيابى بعدُ ...

عطمطم : وما مَنَعَكَ أن تُبَدِّلَ ثيابَك ؟

عنترة « متضايقا » : ثَرْثَرَتُكَ وغَباوَتُكَ !

« يلتفت إلى الفتى سيف » ما بَرِحْتَ هنا ؟ آغْرُبْ عن وجهى ...

« يهرع الفتى سيف متعثراً ... »

عطمطم « وهو يتابع الفتى سيفاً بنظره » : مَن ؟

عنترة : كلبٌ من كلابِ الحىّ ، اقتحمَ عَلَىّ خَلْوَتى ليقلقَ راحتى بإنشاده .

عطمطم : ماذا كان يُنْشِد ؟

عنترة : نَشِيدى لعبلةَ ... عَبَثٌ من عبثِ الصِّبا الغابِر ...

عطمطم : بل إنه لأروَعُ مانظمتَ ...

عنترة : أتُسَمِّى هذا شعراً ؟ ... ماأسقمَ ذوقَك !

عطمطم : أتذكر يامولاى أنك صُغْتَ هذا النشيدَ وقلبُكَ بالحبِّ مُفْعَم ؟

عنترة « متضاحكا » : أىّ حبّ ياعطمطم ؟ كنتُ غِرِيراً لا أَفْقَهُ كُنْهَ الحياة ...

عطمطم : لقد كان حبُّك عميقاً ، ولقد كان يُلْهِمُكَ بدائعَ القصيد ...

عنترة : كان ذلك فى غابِرِ الزمان ... عهدٌ تَقَضَّى !

عطمطم : ولكن الشعرَ باقٍ لايفنَى ... إنه منقوشٌ على صفحةِ قلبى ...

عنترة : اقتصدْ فى ذكرِه على لسانِك ...

عطمطم : لِمَ ؟

عنترة : لقد خطبَ الأميرُ عُمارةُ عبلةَ ، ومودّتى للأمير مَصُونةٌ لا أريدُ أن تُجْرَحَ ... فلتنسَ هذا الشعرَ القديمَ الذى عَفَّى عليه الزمن !

عطمطم : يا لَضَيْعَةِ ماوَعَاهُ صدرُك ياعطمطم ! ...

عنترة : لماذا ؟

عطمطم : ماذا تركتَ لعطمطم أن يَرْوِيَه عنك ؟ إن قصيدَك كلَّه فى عبلة !

عنترة : وشِعْرِى فى غِيدِ فارسَ وصبايا الروم والترك ؟

عطمطم : لن يَبُوحَ لسانى بشىء مما قلتَه فيهنَّ ... أَوَ حَسِبْتَ أنك قلتَ فيهنَّ شعراً ؟

عنترة : أَحْظُرُ عليكَ إنشادَ شعرٍ قلتُه فى عبلة ...

عطمطم : حسبى أن أُسْدِلَ على أستارَ الخِباء فأُنْشِدَه لنفسى ...

عنترة : إنك لتثيرُ غضبى ...

عطمطم « وهو إلى القمر ناظر » : تَمَلَّ هذا الضياءَ الباهرَ فإن غضبَكَ لاشكَّ يخبو ... يا لَجَمَالِ القمر فى أُفقِ هذه البيداء ...

عنترة « وقد رفع إلى القمر بصره » : إن القمرَ لجميلٌ فى كل أُفق ...

عطمطم : إن له لسحراً لا يَعْدِلُه سحر وهو يُطِلُّ على هذه الصحراء الرحيبة ذات البساط العَسْجَدِىّ ، وقد نشر فيها الصمتُ لواءَه ...

عنترة : ألا يفتِنُكَ قمرُ فارس ؟

عطمطم : إنى بقمر البيداء لأشدُّ كَلَفاً ... انظر إليه : ألا تراه يَرِف بابتسامته الوضّاحةِ ، ويرنو بعينيه الساحرتين ؟ ...

« يأخذ يد عنترة ويسايره »

يخيل إلىّ أن شفتيه الزاهيتين تترنمان بأعذبِ النَّغَم ...

« يمضيان فى سيرهما مغادرين المكان »

ألا تصافحُ أُذُنك وسْوَسَتُه ؟ يالَروعةِ الألحان يُنشدها هذا المَلَكُ البَهِىّ ...

« يبدو الفتى سيف وهو يسير الهوينى فى محاذرة متغنيا »

سيف « ينشد » :

أنتِ ياعبلةُ أُنْس لفؤادى وهَنـاءْ
حينما ترضَيْنَ عنّى يملأُ القلبَ الرجاء
فإذا الدنيا نعيمٌ وإذا الكونُ صفاء
وإذا بى فى حُبور وابتهاجٍ وازدهاء

الفصل الرابع

المنظر الأوّل

« الوقت : أصيل ...
أمام خباء عبلة ...
عبلة ودعجاء ونجلاء جالسات ينزلن ...
على مقربة منهن هند وقد تملكها ضيق ...
يبقين على حالهن فترة »

هند : الغَزْل والصمت ... دائماً الغَزْل والصمت ! ...

دعجاء : وماذا تبْغين منا أن نفعلَ ؟

هند : أن تتحدَّثْنَ ... أن تتجادَلْنَ ... أن تتنازَعْنَ ! ... إنى لأفضِّلُ أن أراكُنَّ وقد تضارَبْنَّ وتماسَكْنَّ على أن أراكُنَّ تجلِسْنَ لاتنبِسْنَ وإن كنتُنَّ على صفاء !

نجلاء : أتكرَهينَ أن يَحُلَّ الوِئامُ بين عبلةَ ودعجاءَ محلَّ الخِصام ؟

هند : وَدِدْتُ ألّا يَدُومَ هذا الوئام ...

عبلة : ألا يحِقّ لنا أن نَهْدأَ ونَقِرَّ بعد أن طالَ بنا عهدُ الشَّحْناء ؟

هند : مضتْ عشرونَ يوماً وأنتُنَّ فى خمول ... منذ قَدِم عنترة لم يَنْشَبْ بينكما نزاع ... كان يقينى أن سَيِّدَ الفوارس سيعودُ إلينا حاملاً معه بِذْرَةَ التنافس والشِّقاق ...

دعجاء : فكان أنْ عادَ إلينا حاملاً بذرةَ السلام ناشراً بيننا لواءَ الوئام !

نجلاء : وحسناً فعل ... إنه أعْلَنَ منذ قدومه أنه قد نَقَضَ يديْه من شُئُون الغرام ، فلم يَعُدْ للتنافس بيننا سبيل ...

عبلة : وقد نفضْنا نحن منه أيدينا قبل أن يَنْفُضَ يديه ...

نجلاء : ليس فى هذا ما يَضيرُنا أو يَضيره ... إن عنترةَ يُكِنُّ لنا أصفَى مودة وأصدقَ إخاء ... لقد أتحفَنَا بفاخِرِ الهدايا ... إنه وأيمُ الحقِّ لفارس مهذبُ النفسِ كريمُ الخصال ...

عبلة : وما رأيُكِ فى الأمير عُمارة ؟

نجلاء : لا يقلُّ عن عنترةَ صفاءَ سريرةٍ ونقاءَ نفسٍ وشجاعةَ قلب ...

عبلة : بل يفوقُه !

دعجاء : ألِأنَّه خَطَبكِ تحاوِلينَ أن تُغْدِقِى عليه من المزايا فوق ما يستحقُّ ؟

عبلة : إن الأميرَ عُمارة سيدُ هذه البادية غيرَ مُنازَع !

دعجاء : ما أعجبَ أن تُفاضلى بين عنترةَ وبين الأمير عُمارة !

عبلة : لا تتمادَىْ يادعجاءُ فى التَّمَدُّحِ بعنترةَ ، فتثيرى حولك غُبارَ الظنون ...

دعجاء : أيةَ ظنون أُثيرُ غبارَها ؟

عبلة : لقد دفنتِ حبَّك فى القبرِ الذى حفرتِه لعنترة ... فلا تَنْشِرى رُفَاتَ الموتَى ...

دعجاء : وحُبُّكِ إياه ... ماذا صنع اللهُ به ؟ يخيَّلُ إلىَّ أنه ما بَرِح يُضرِمُ نارَه بين جوانحِك فيأكلُها !

نجلاء : أثمَةَ مشاحنةٌ تَبْدَآنِها ؟

هند « منجهة » : دَعِيهما ... دعيهما ...

عبلة : ليس ثمَةَ من مشاحنة ... إنما هى معابثةُ أختين ... أليس كذلكِ يادعجاء ؟

دعجاء : الأمرُ كما تقولينَ ياعبلة ...

عبلة « لدعجاء » : أريد أن أجلوَ لكِ بعضَ ماقد يَغْمُضُ عنكِ ... أنا لم أُحِبَّ عنترة ، ولكنه هو الذى أحبَّنِى ...

دعجاء : ربما كان قد أحبَّك ... أحبَّكِ فى زمنٍ مَضَى ...

عبلة : لقد جَلَبَ لى معه حَجَرَ الزبرجد ...

دعجاء : تزعمين أنه ما فَتِئَ بكِ هَيْمانَ ؟

هند : ولم لا يكونُ كذلكِ ؟

عبلة : لقد تجشَّمَ فى الحصولِ على حجر الزبرجد جِسَامَ المصاعِب ...

دعجاء : قُصارَى الأمرِ أنه وَعَدَكِ بإحضارِه لك ، وما كان له أن يُخْلِفَ الوعد !

نجلاء : ألم نَقُلْ إنه فارسٌ مهذبُ النفسِ كريمُ الخصال ؟

عبلة : يُحْسِنُ اختيارَ الهدايا لصواحِبِه ...

دعجاء : ليس حجرُ الزبرجد بأثمنَ مما خصّنا به ...

عبلة « لدعجاء ، ضاحكة » : أصبتِ ... ولذلك قَذَفْتُ به فى الخباء ، فلم أُعِرْهُ جانبَ اهتمام ... أما هديتُه لك : تلك القِلادةُ والقُرط والخَلْخال ، فإنك تتحلّينَ بها على الدوام ... ما أشدَّ اعتزازكِ بهديّته !

نجلاء : اعتزازُ صديقةٍ وفيةٍ لا ترضى لنفسها إنكارَ الجميل ...

عبلة : ولكن دعجاء تَحْرِصُ على أن تبدوَ فى هذه الحُلىّ أمامَ عنترة ... اجتذاباً لناظِره !

دعجاء : أأنا التى تحاولُ اجتذابَ ناظره ؟ ألا تَرَيْنَ إلى نفسكِ وقد اتّخذْتِ على جبينكِ هذه العِصابةَ التى لا تستبدِلينَ بها غيرَها ؟

عبلة : إنها من سَقَطِ المَتاع ...

دعجاء : بل إنها هديتُه إليك قبيْلَ ارتحاله ... ولطالما كانت حبيبةً إليه ، ولطالما كان حريصاً على أن تتعصّبي بها حينَ تَلْقَيْنَه ، فكنتِ تأبَيْنَ اتخاذَها تمنُّعاً ودَلالا ... أما اليومَ ياعبلةُ فإنك ...

عبلة « وقد نزعت العصابة عن رأسها » : ... أما اليومَ يادعجاءُ فإنى أُنزِلُ عنها لك إذا طمحتْ إليها عينُك !

« تمد يدها بالعصابة إلى دعجاء » لعلّ لك فيها أرَباً ... إن عبلةَ لا تَنْصِبُ هذه الأحابيلَ الرخيصةَ لصَيْدِ القلوب !

دعجاء : أمْسِكى عليكِ عصابَتَكِ ... إنى لا أُلاحِىُ الرجالَ وهم عنّى مُعْرِضون ...

عبلة : ماذا تريدينَ بقولِكِ هذا يادعجاء ؟

نجلاء : يالله من هذه المهاترة ! . . . هلّا كففْتُما عن هذا النزاع ؟

هند : وَدِدْتُ أن يَفْجأنا عنترةُ الآنَ ليرى ويسمعَ مايدورُ فى شأنِه !

نجلاء : ألا فلندعْ حديثَ عنترة ، ولنحسِمْ هذا الشّقاق . . .

عبلة « وقد تمالكت » : لاشِقاقَ . . . إنما هو تجاذُبُ كلام ! أليس كذلك يادعجاء ؟ « تقول ذلك غير ناظرة إليها »

دعجاء : الأمر كما تقولينَ ياعبلة . . . « تقول ذلك غير ناظرة إليها أيضا »

نجلاء : يسعدنى أن أراكما تتصافيان . . .

دعجاء « وقد أخذت مغزلها وجلست جلستها الأولى وشرعت تغزل » : إن الصفاءَ يملأُ قلبينا دائماً . . .

عبلة « وقد بدأت هى الأخرى تغزل » : لم نكن فى وقت ما أصفَى قلوباً مما نحن الآن . . .

« نجلاء تقبل كذلك على مغزلها . . .

فترة صمت لاحركة فيها إلا حركة الغزل . . . هند ترنو إليهن »

هند « مغمغمة » : ماأشقَى البادية بتلك المغازِل . . . آه لوكان فى طَوْقى أن أحطّمَها لما أبْقَيْتُ منها شيئاً ! « الصمت يتابع »

إن تلك المغازلَ تجلب لى دُواراً . . .

« تصيح » : دُواراً تَضيقُ به علىّ الأرض !

نجلاء « تقف مغزلها ، تقول لهند » : لقد أراحَكِ اللهُ من مِغْزَلى . . .

لم يبقَ لدىَّ من صُوف أغزِله !

هند : أَحْمَدُ الله على هذا ...

« لدعجاء » : وأنتِ ، ألَمَا يَنْتَهِ الصوف الذى معك ؟

دعجاء « تقف منزعجة » : قارَبَ أن ينتهىَ ... « تنهض نجلاء »

نجلاء « لدعجاء » : ألا تَصْحَبِينَنى لِآتِىَ بصوفٍ جديد ؟

دعجاء : حُبًّا وكَرامة ...

نجلاء « لعبلة » : ألا تَمْضِينَ معنا ؟

عبلة « وهى على مغزلها عاكفة » : مازال الصوفُ بين يدىَّ غيرَ قليل ... ولكنى بكما لاحقةٌ عمَّا قريب ...

نجلاء : لا تُبْطِئى عنا ...

عبلة : لن أُبْطِئَ ...

« تنصرف دعجاء ونجلاء . عبلة تسوى العصابة على جبينها كما كانت من قبل ... »

هند « مبتسمة ، لعبلة » : إنه يجوزُ بهذا المكانِ قَبْيلَ الظهيرةِ كلَّ يوم ... !

عبلة « متابعة » : أليس هذا طريقه إلى مَضْرِبِ خيامه ؟

هند : إن الطُّرُقَ شتى ...

عبلة « مبتسمة » : إنه يَسْلُكُ أَيْسَرَ الطرق ... لا يريد أن يُعَرِّجَ على الطرق الصغيرة ، خَشيةَ أن يقولَ الناسُ إنه يتجنَّبُ هذا الطريقَ المسلوكَ فِراراً من عبلة ...

هند : أَوَقَدْ شَرعَ يفكِّر حقًّا فى الفِرار منك ؟

« عبلة لاتجيب ... فترة صمت ... ثم تقول هند » :

ولكنى أسائلُ نفسى : لماذا تتعرضين لعنترة بُغْيَةَ تَصَيُّدِه وأنتِ للأمير عُمارة مخطوبةٌ وزواجُك منه وَشِيك ؟ ...

عبلة « مضاحكة » : يروق عبلةَ أن تَلْهُوَ ...

هند : أيّهما تُؤْثِرين : عنترة أم الأمير ؟

عبلة : أنا لاأُوثِرُ أحداً ... كلاهُما إلىّ يَسْعَى ... !

هند : ومَن منهما تتزوَّجين ؟

عبلة : الأمير عُمارة ...

هند : أنتِ لاتُكِنّين له حبًّا ...

عبلة : كثيراً مازُفّت الفتاةُ إلى من لايهفُو فؤادُها إليه ...

هند : يالَفَلْبِكِ القاسى العَنِيد ... ماأُحِبُّ لكِ أن تتلَهَّىْ بقلوبِ الرجال ... وما يستحقّ منك عنترةُ هذا الجزاء !

عبلة : ألم يَلُهُ بنا ياهند ؟ أما رأيتِ كبرياءَه وتعاليَه علينا وهو يتشدَّقُ بأنباء فارس وأحاديث بلاد الروم ؟ ألم يعلنْ أنه أصبحَ سيدَ قلبِه ، وأن غرامَه الأول لم يكن إلا ضَلالةً صَحَا قلبُه عنها ؟ !

هند : وما أنتِ صانعة ؟

عبلة : لستُ بصانعةٍ شيئاً ...

هند : عجباً ...

عبلة : قلتُ لكِ إن عبلةَ يروقُها أن تلهوَ ...

هند : والفتى سيفٌ ، ما خَطْبُه ؟

عبلة : ألم تَرَيْهِ ؟ إنه دائمُ الاختلافِ إلى عنترة ...

هند : يُنشِدُ الأناشيدَ الرِّقَاق ...

عبلة : أناشيدى التى يَتَغَنَّى فيها عنترةُ بحبِّى ويُشيدُ بمفاتنى ... إنى أتبينُ سيفاً قادماً ... ليتكِ تحدثت بشيءٍ طَيِّب ! « يقدم الفتى سيف » تعالَ يا سيفُ ... أحسنتَ بحضورِك الآن صُنْعاً ...

سيف : مولاتى ...

عبلة : هل من جديد ؟ قُلْ لى : أيأنَسُ عنترةُ بأناشيدِكَ أم ما فتئ صادفاً عنها ؟

سيف : إنه لَيَنْتَهِرُنى تارةً ويُغْضِى تارةً أخرى !

عبلة : لا أريدُ منكَ أن تلاحِقَه ...

سيف : إنى لا أُلاحِقُهُ ، ولكنى أتوخَّى أوْقَاتَ صَفْوِه ...

عبلة « لهند » : القمرُ يا هند فى اكتمالِ تألُّقِه ... وشدَّما يحلُو التَّنَزُّهُ فى فَيْضِهِ البَهِىّ !

سيف : إنها لأُمْسِيَاتٌ رائعة تَتَأَرَّجُ بأنفاسِ الأزاهير ...

عبلة « لسيف » : والبَخور الذى أعطيتُكَ إياه ؟

سيف : كلما وَاتَتْنِى الفرَصُ تسللتُ إلى خيمته فى جُنْحِ الليل ، فملأتُ المجامِرَ بهذا البَخور ...

عبلة : حسناً ... « تخرج من صدرها صرة فتناوله إياها . »

سيف : شكراً مولاتى ... بَقِيتِ وبَقِيَتْ عطاياك !

عبلة : والآن أنتَ وشأنُك ... « ينصرف سيف وهو ينحنى تحية لها » .

هند : وما سرُّ هذا البَخور ؟

عبلة : إنه خَليطٌ من أعوادٍ ذكيَّةِ الرائحة لا يعلَم سرَّها سواى ... كنتُ أُطلِقُ هـذا البَخور حين كان عنترةُ يلقانى فى الخِباء ... فكان به شديدَ الشَّغَف !

هند : أتظنِّينَ أنه يأبَهُ له اليومَ ؟

عبلة : اعلمى يا هندُ أن للأطياب خصائصَ عجيبة ... إنها لتتغلغلُ فى شِعاب القلوب وتبلُغُ أعماقَ السرائر ، فتبعثُ من مَرَاقِدِها غَابِرَ الذِّكْرَيات ، وتُلهب ما خَمَدَ من كامِنِ العواطف ... كل ذلك فى لُطف وعُذوبة ولِين ... إنها لتفعلُ فعلَ السحر ... ذكَّرْتِنِى ... ألا تُحضِرين لى آنيةَ الطِّيبِ من الخِباء ؟

هند : أيَّةَ آنية ؟

عبلة : الآنية النحاسيَّة ...

هند : طِيبُكِ القديم الذى هجرتِه زمناً أراكِ تعودِينَ إليه !

عبلة : إنه طِيبُ عنترةَ المفضَّلُ لديه ...

« تحضر هند آنية الطيب ، فتأخذ عبلة فى التطيب به »

هند « فى دعابة » : ألا تَدَعِينَنِى أَتَطيَّبُ بِطِيبِكِ هذا ؟

عبلة : لن يَتَطيَّبَ بطيب عبلةَ أحدٌ سواها ...

« يسمع خفق أقدام ... تلتفت هند »

هند : إنه لقادِم ... سَأَدَعُكِ له ...

« تختفى هند ... يبدو عنترة ... يلمح عبلة بباب خبائها فيتدانى إليها »

عنترة : نَعِمَ صباحُكِ ياعبلة ...

عبلة : نَعِمَ صباحُكَ ياعنترة ...

عنترة : حَسَنٌ أن يكونَ خباؤُكِ على طريقى ، فأسْعَدَ باجْتِلاءِ طَلْعَتِك ...

عبلة : أشكرُ لكَ ! ... وما حاجتُكَ إلى اجتلاءِ طَلْعَتى ؟

عنترة : إن طلعتَكِ لتُفْعِمُ نفسى بالبهجةِ والإيناسِ ...

عبلة : إنكَ لتَجِدُ فى طلعةِ غيرى من صَبايا القبيلةِ أو من جواريكَ بناتِ فارسَ ما يُبهِجُك ويُؤْنِسُك ! ...

عنترة « مبتسما » : لَطَلْعَتِكِ ياعبلةُ ضياءٌ لا يباريهِ ضياء !

عبلة : إن عبلةَ تحفظُ ضياءَها لمَنْ خَطَبَها ... الأمير عُمارة !

عنترة « مبتسما » : ذلك فى عِلْمى ... ولكن ألا يَشَمُّ المرءُ عِطْرَ الزهر فى بُسْتان جاره ؟ ... الحُسْنُ كالعِطْر ، كلاهما مُباحٌ لمن يَشَمُّ ومن يتطلَّع ... ! « يستنشق النسيم حول عبلة » ماأذكَى الطِّيبَ الذى يَنْفَحُ منكِ ! ... إنه عِطْرُكِ القديم ...

عبلة : لم أستَبْدِلْ به غيرَه ! ... هو طِيبِي المفضَّل ...

عنترة : وهذه العِصابة ، ماأبْدَعَها ... لم تَفْقِدْ بهاءَها ولن تَفْقِدَه !

عبلة : إنها عِصابَتى التى أتَّخِذُها كلَّ يوم ... يروقنى لونُها !

عنترة : إنك لَحَفِيَّةٌ بزِينَتِك ...

عبلة : شأنى دائماً ...

عنترة : المرأةُ لاتتزيَّنُ إلا للرجل ...

عبلة : لى خاطِبٌ علَىَّ أن أحتفِظَ بقلبِه ...

عنترة : وهل تَخْشَيْنَ على قلبه أن يَشْرُدَ إذا لم تحُوطِيهِ بهذا السِّياج ؟

عبلة : وهل يُؤْمَنُ للرِّجال جانِب ؟

عنترة « مداعبا » : وهل سَبَقَ أن شَرَدَ منك قلْب ؟

عبلة : إن قلباً تَمْلِكُهُ عبلةُ لايستطيعُ عنها فكاكا ...

عنترة : أنتِ بنفسِك شديدةُ الزَّهْوِ ...

عبلة : ألا تَرَانى بهذا الزَّهْوِ خَلِيقة ؟

عنترة : أراك على الدَّوام ساحرة ...

عبلة « ضاحكة » : نحن إذنْ على وِفاق !

عنترة : أتَهْوَيْنَ خاطبَكِ ؟

عبلة : المخطوبةُ تَهْوَى خاطِبَها ...

عنترة : ماأيسرَ أن تهوَى المخطوبةُ مَنْ خَطَبَها ... ولكن هل لهذا الهَوَى من دوام ؟

عبلة : الوَفاءُ فى الحبِّ من شِيَمِ النِّساء ... أما الرجال ...

عنترة : حقًّا إنَّ قلبَ الرجُلِ قلَّب ... ولكنَّ له فى ذلك عُذْرَه ، إنه ليُنْكِرُ قلبَه فى سبيل المجد ... أما المرأة فمجدُها الذى تَهْدِفُ إليه ، هو القلبُ تحتَ رايةِ الحبِّ ...

عبلة : وما أشقانا بهذه القلوب ! ... بل ماأسْعَدَنا بها ! ... إننا نستمرئُ السعادةَ من سَعِيرِ هذا الشقاء ...

عنترة : لَكَمْ تغيرتْ نظراتى فى الحياةِ والحبِّ ...

عبلة : الحبُّ الأصيلُ ليس بالثوبِ الذى يُخْلَعُ بين آن وآن !

عنترة : أبِينِى ...

عبلة : إنه جَذْوَةٌ دائمةُ التَوَقُّد ، لاتخبُو إلا رَيْثما تَتَوَهَّج ...

« تقبل عليه ، وترنو إليه »

عنترة : ما أجملَ عَيْنَيْكِ اليومَ يا عبلة ...

عبلة : هما عَيْنَاىَ دائما ... هُمَا هُمَا ...

عنترة : وهذا الكُحْلُ ... ما أفتنَه !

عبلة : إنه كُحْلى الذى أتكحَّل به منذ نَشْأَتى ...

عنترة : عَجَباً لى ، كيف أُبِيحُ لنفسى التَّطَلُّعَ إلى مفاتِنِك مستمتِعاً ، وأنتِ لغيرى ؟ ... إنه امتهانٌ للصداقةِ التى بينى وبين الأميرِ عُمارة ، على حين أنى أُقدِّرُه وأُكبِرُه !

عبلة ألم تقلْ إن للمرء أن يَشَمَّ عِطْرَ الزهرِ فى بُسْتَانِ جارِه ؟

عنترة : ولكن المرءَ طموحٌ نزاعٌ ، قد لا يقنَع بالشَّم ، فتَشْرَهُ نفسُه إلى القَطْفِ والامتلاك ... !

عبلة : لقد كانت الزهرةُ منكَ دانيةَ المَنال ، فتركتَ غيرك يَسْبِقُكَ إلى اقتطافِها ... !

« يتبعه عنترة بنظره فى الفضاء برهة ... فترة صمت »

عنترة : هى الأقدارُ ياعبلة ! ... أُقِرّ لكِ بأن صَفْقَتِى هى الخاسرة !

عبلة ... « فى سموم » : وقد تكونُ الرابحَ ... لا تَعْجَلْ بالحكْم ...

عنترة : إنه ليتعذَّرُ على المرءِ أن يَفْرُقَ أحياناً بين الفَوْزِ والإخفاق ... ليس بهيِّنٍ أن نميِّزَهما بمعالِمَ واضحةٍ ... ما أراه إخفاقاً قد يَعدُّه سِوَايَ فَوْزاً مبيناً ...

عبلة : سلْ قلبَكَ يُنبِئْكَ بالخبرِ اليقين !

عنترة : وعَقْلِي ... ألا أستَفْتِيهِ ؟ « يبدو عطمطم على الربوة »

عطمطم : مولايَ عنترة

عنترة : ماباكَ ؟ ...

عطمطم : شيوخُ القبيلةِ ينتظرُون لِقاءَكَ ...

عنترة : أَنْهِ إليهم أنى قادمٌ الساعةَ ...

عطمطم : السمعُ والطاعةُ ... « ينصرف »

عبلة « لعنترة » : إنهم ينتظرونَكَ للتشاوُر فى أَمْرِ بنى فَهْد ... لقد اشتدَّتْ بهم الرغبةُ فى قِتالِ تلك القبيلةِ الشَّغُوب ...

عنترة : ولِمَ لَمْ يقاتِلُوها فى بَغْيِي ؟

عبلة : هم يعلمونَ أن أمر بنى فَهْد لا يُحسن الفَصْلَ فيه إلا عنترة ... فى مقدورِكَ وحدَك أن تَخْضُدَ شوكَتَهم وتَرُدَّ جِماحَهُم ...

عنترة : ألم يَعِنَّ لهم أن يستَنْصِرُوا بالأمير عُمارة ؟! ... أليس هو أشجعَ أهلِ البادية ؟ « تصمت عبلة قليلا ... وهى إليه رانية متفحصة »

عبلة : الأمير عُمارة وإن كان أشجعَ أهل البادية يُعَدّ غريباً عن قبيلتِنا ، فما يَحْمِلُ بأبى أن يستنصِرَ به على عدوِّه ! ...

عنترة : ولكن أباك لا يستنكِفُ أن يزوِّجه ابنتَه ! ... لم يَعُدْ

الأمير عُمارة غريباً وقد صارَ للقبيلة صِهْراً ...

عبلة : ألا تأنَفُ أن يُزْعِمَ الأمير عُمارةُ على رجالِ القبيلةِ دُونَكَ ؟

عنترة : لا آنَفُ كرامةَ لكِ وإعزازاً له ... إن الأميرَ فارسٌ صِنديد ، وسأُمِدُّه بالمشورةِ وأكونُ له ظهيراً ، ما اسْتَطَعْتُ إلى ذلك سبيلا ...

عبلة : أخشَى عليكَ ياعنترةُ أن يَسْلُبَكَ الأميرُ عُمارة زَعامةَ الجيشِ بعد أن سَلَبَكَ إمارةَ القلب !

عنترة : أوَقادرٌ هو حقّاً على أن يَسْتَلِبَ الإماراتِ اسْتِلاباً ؟ ... إني لأراه يَنالُها مِنَحاً لا غِلاباً ! ...

عبلة : ما تَعُدُّه أنتَ مِنْحَةً يَعُدُّه هو حَتماً يستطيعُ أن يمتلِكَه بدهائه تارةً وبسَطْوتِهِ تارةً أخرى ...

« بعد هنيهة » : ألا تراكَ قد أبطأتَ عن مجلسِ القبيلة ؟

عنترة : لم أُنْضِ وقتِي معكِ عَبَثاً ياعبلة ... طابَ يومُكِ !

عبلة : طابَ يومُكَ !

« يأخذ يدها ويقف قبالتها لحظة يتوسمها وتتوسمه ...
يتركها بغتة ، وينصرف حيث الخطا ... »

المنظر الثانى

« الوقت مساء ...
داخل خيمة عنترة الأنيقة ...
الترف الفارسى يتجلى فى أروع مظاهره ...
عنترة وعطمطم على وثير الوسائد ...
بين يديهما مائدة الشراب ... »

عطمطم : وغزوةُ بنى فَهْد ؟

عنترة : فرَغْنا من أمرِها وأجمَعْنا الرأىَ فيها ... تَقاسَمْنا أسْلَابَها ...

عطمطم : عَجِبْتُ لكم تتقاسَمُونَ الأسلابَ وأنتم فى دياركم قابِعُون !

عنترة : أوَ يُخالِجُكَ الريْبُ فى غَلَبَةِ عنترةَ على تلك الشراذِم ؟

عطمطم : لايخالجنى أىُّ رَيْب ، ولكن لاتنسَ يامولاى أنه قد أصبحَ لتلك الشراذِمِ شأنٌ يُعَـدُّ ... إنها لتَبْسُط سلطانَها على قبائل الجنوب ، وقد تفـرّدَتْ بشجاعةٍ نادرة ، فهابَهـا النـاسُ وخَشوا مالها من بَطْش ...

عنترة : لم يكن لهـذه القبيلةِ ذِكْرٌ قبـلَ رَحِيلى إلى فارس ... إن صغارَ الثالبِ لَتُطِلُّ من أجْحارها وترفَعُ من هاماتها إذا آنَستْ غَيْبَةَ الأسد ! ... ولكنى سأُشْعِرُهم أن الأسدَ قد عاد إلى عَرِينه ... وسترى كيف يكونُ مصيرُهم على يدِى !

عطمطم « وهو يجرع كأسه » : ستنتظرهم الخيبةُ والهزيمةُ حتما ...

عنترة : إنى لأسائلُ نفسى : كيف استنامَ أشباخُ القبيلةِ لتلك الشراذِم حتى تفاقمَ أمرُها واستفحلَ شرُّها !

عطمطم : ماذا ترجُو من زُمْرَةٍ كُسالَى لايجمعُهم رأىٌ ولا يَسُلُّ شتاتَهم ساعدٌ مَكين ؟

عنترة : وأينَ الأميرُ عُمارةُ الكندىّ ؟

عطمطم : إنه رجلٌ أميَلُ إلى السِّلْم ، يريد أن يحيا حياةَ دَعَةٍ وطُمأنينة يستمرئُ الرفاهيةَ فى ظلِّ ثروتِه الطائلة !

عنترة « وهو يضحك ملء فيه » : أوَتَزْعُمُ يالسانَ السوء أن الأميرَ عُمارةَ ليس لِحَرْبٍ ولا لقتال ؟ !

عطمطم : من كانتْ له ثروةُ الأمير خَشِىَ عليها وَيْلاتِ الحروب ... يقولون إنه رجلٌ داهية ! ... بكياسته وحِيلَتِه يَكْسَبُ المعارِكَ دونَ أن يَشُنَّ غارةً أو يَفْقِدَ رجلا ...

عنترة « وهو يتضاحك والكأس إلى فيه » : أكْرِمْ به من أميرٍ داهية !

عطمطم : ولكن كان خَليقاً به أن يتقدَّمَ إلى القبيلةِ فى هـذا الوقت لِيَشُدَّ أزْرَها فيما هى مُقْبِلةٌ عليه من غَزْوِ بنى فَهْد ...

عنترة : لاأرْضى أن يَشُدَّ أزْرِى أحد ، وبذلك صارَحْتُ الجمعَ ...

« يجرع عنترة من كأسه ... يصمت برهة ... »

لنَدعْ أميرَنا عمارة يتقلَّبُ فى أعْطافِ نعيمِه ...

عطمطم : حسناً نصْنَع ، فإنه بزِقافِه مشغول ...

عنترة : ماذا يفعلُ !

عطمطم : يُعِدُّ العُدَّةَ لأعظمِ عُرسٍ شَهِدَتْه البادية ! ... ستحضُرُ ذلك العُرسَ بلا رَيْب ...

عنترة : حبيبٌ إلىّ أن أشهَدَ عُرسَ الأمير ، ولكن لستُ أدرى أمستطيعٌ أنا ذلكَ مع انهماكى فى أمرِ الغَزْو ؟

عطمطم : ألا تُؤَجِّلُ هذه الغزوةَ إلى ما بعد حَفْلِ الزِّفاف ؟

عنترة : ولم لا يؤجِّلُ الأميرُ حَفْلَ زِفافِه إلى ما بَعْدَ الغزوة ؟

عطمطم : سِيَّانِ هذا وذاك ... نتفقُ على أىِّ الأمرين ...

عنترة : سأُعَيِّنُ لغزوتى اليومَ الذى أراه ملائِماً لى ...

عطمطم : ألا تستطيعُ أن توفِّقَ بين الأمرَيْن إكراماً لعبلةَ ؟

عنترة « وقد صب الكأس فى فمه ، يصيح » : أتظنُّ أنى أعبَثُ بمهمتى العُلْيا من أجل غادةٍ من غِيدِ الحىّ ؟ ما أجْهَلَكَ بشئون الحرْب يا عطمطم ! ... إن للحربِ لَمَطالِبَ لِزامٌ علىّ أن أضطلِعَ بها لا ألْوِى على شىء !

عطمطم « مغمغما » : الحرب ... الحرب ... لن نستريحَ منها أبَدَ الدهر ...

عنترة : تريدُنِى كالأميرِ عُمارةَ أركَنُ إلى الدَّعَة مستمرئاً حياةَ الرفاهية ...

عطمطم : عفواً مولاى ... ولكن على المحاربِ أن يهادِنَ نفسه بين حينٍ وحين ، للاستجمامِ والتَّرْفيه ...

عنترة : لقد طالتْ بنا المهادنةُ يا عطمطم فى رُكُودِ هذه البيداء ...

عطمطم : ما كدنا نَتَذَوَّقُ طَعْمَ الراحة حتى مُنِينا بخبر بنى فَهْد ...

ألا سُحْقاً لفَهْدٍ وأبناء فَهْد !

عنترة : لن يَطْمَئِنَّ لكَ جَنْبٌ ما دمتَ فى صُحْبتى !... لِتَعْلَمْ أنى بَرِمْتُ بحياة البيداء وأهل البيداء... لقد أزمَعْتُ عنها رحيلا... سَنَشُدُّ الرحالَ إلى فارسَ عمَّا قليل...

عطمطم : ألم تضربْ لذلك مَوْعِداً ؟

عنترة : حين نَنْفُضُ أيدينَا من أمر بنى فَهْد... فخُذْ أُهْبَتَكَ لذلك يا راوِيَتِى العظيم !

عطمطم : دَعْنا الليلةَ من حديث فارسَ وشئونِ الحرب... ولْنَنْعَمْ بمجلسنا هذا بين الكاسِ والطَّاس...

« يقبلان على الشراب . بعد لحظة يدخل سيف متسللا فى حذر ، وفى يده بجرة ، فيضعها فى زاوية من الخيمة ، ويلقى فيها بعض الأعواد ، فيسطع البخور... ينصرف سيف عجلا ، دون أن يشعر به عنترة وعطمطم »

ألا بِرَبِّكَ أَرْهِفْ سمعَك لهذا السكون الشامل وارتشفْ أفاويقَه ، ثم ارْمِ بطَرْفك فى الفضاء الرَّحْب يكسُوهُ القمرُ بلآلائهِ البهيج... أحرامٌ أن نَنْعَمَ لحظةً بهذه المتعة ؟

عنترة « وهو يستنشق البخور » : ما هذه الشاعريةُ الفيَّاضةُ يا عطمطم ؟ قل لى : أتُحِبُّ حقًّا هذه البيداء ؟

عطمطم : أشعرُ فى هذه اللحظة بأنى أعبدها ! « يعب من كأسه »

عنترة « وهو يطيل استنشاق البخور منتشياً ، وقد جلس جلسة استرخاء ، وجعل يشرب » : صِفْها لى ياصنَّاجةَ العرب !

عطمطم : البيداء يامولاى فردوسُ الكُسالَى !

عنترة « متضاحكا » : ماأبدعَ ماقلتَ أيها الحكيمُ المخبول ... ولهذا تريدُنى على أن أقضىَ فى البيداء أيامى كسلانَ قاعداً ... ماأطيبَ هذا البَخور ! ... منذ أيام أرى المجامرَ تتوهَّج بهذه الأعوادِ الزَّكيَّة ...

عطمطم : بَخور طَيِّب أصيل ... إن أردبيلَ لَيُحْسِنُ تأليفَ الأعوادِ العَطِرة ...

عنترة « وهو يخلد إلى الراحة فاتر الجلسة » : ليس هذا من صُنْع أردبيلَ ... لايُحْسِنُ تأليفَ هذا البَخور إلا عربىٌّ من أعرقِ أهلِ البادية !

عطمطم : لعله ابنُ حَبْناءَ ...

عنترة : لعله ... « وهو يتمطى » : إن هذا البَخور ليحملُ فى تضاعيفه صُوَراً محبَّبة ... ذكرياتٍ عزيزة ... إنه ليُسْلِمُنى إلى نشْوَة لذيذة !

عطمطم : ألا أدعُو لك بجوارِيك الفارسيَّات تقضى معهُنَّ وقتَ منادمة وصَفْوٍ ومؤانسة ؟

عنترة : أفعلْ ما بدا لك ... « لايكاد ينهض عطمطم حتى يرده عنترة » لاحاجةَ لى بجوارى فارس ... ياللهِ من رائحةِ هذا البَخور ! ... « ينعض عينيه » يكاد النعاسُ يَملِكُ عينىَّ ... إنه كالضباب الرقيق أحِسُّه يَغْشانى بغلائله ... إنى لأستبينُ فى غضُون هذا الضبابِ أطيافاً لِطافاً تتهادَى يستطيرُ منها عِطْرُ الصحراء ...

عطمطم : لمن تكونُ هذه الأطياف ؟

عنترة « وهو مسبل الجفنين » : عذارى البَدْوِ المِلاح ...

عطمطم : أكرِمْ بهنّ حِسَاناً فاتنات !

عنترة : لَتَصِفَنّ لى هاتيك العذارَى ياعطمطم !

عطمطم : لقد سَبَقَنى إلى وصفهنّ عليم : عذارَى البادية كظبائها ...

عنترة : هذا حقّ ...

عطمطم : ألا أُسمِعُك فى ذلك قولَ شاعر ؟

عنترة : أَنشِدْنى برَبِّك ماقاله شاعرُك ...

عطمطم : أَشْبَهْتِ هذا الظبيَ حُسْنَ ملاحة
حتى تحيّرَ كلُّ وصف فيكِ
لَكِ جِيدُه ولِحاظُه ونِفارُه
وغداً تكونُ قرونُه لأبيك !

عنترة « ينتبه من غفوته ، ويضج بالضحك » : ما أظرفَ ما أنشدتَ بالسانَ السُّوء ! ... إيهِ ياعطمطم ...

عطمطم : ماذا أُنشِدُكَ ؟ إنّ تَحْفوظى من شعرِ غيرِك لقليل ...

عنترة : إذن فأَنشِدْنى من شعرى ...

عطمطم : ماذا تختارُ أن أُنشِدَكَ ؟ أمن شعرِك فى المفاخرة والمنافرة ؟

عنترة : قُتِلْتَ ماأغباكَ !

عطمطم : أأُنشِدُكَ من شعرك الحامِىّ ماقلتَ فى وصفِ موقِعة أرّجان ؟ ألا تذكُرُ قولَك :

فويلٌ لكِسْرَى إن حَلَلْتُ بأرضه

وويلٌ لجيشِ الفرسِ حين أُعَجْعِجُ

عنترة : أبْعِدْ عنا عجمجتَكَ لا أبعدَ اللهُ غيرَك !

عطمطم : سأُسْمِعُك إذن خريدتَك الرائعةَ التى فيها تقول :

أحِنُّ إلى ضَرْبِ السيوفِ القواضبِ و ... ...

عنترة « مقاطعاً » : قَسَماً لئن لم تَلْتَهِ عن ذلك الهَذَرِ لأُذيقنَّك ضَرْبَ تلك السيوفِ القواضب ! أنشِدْ غَزَلًا غزلًا أيها الأحمقُ !

عطمطم : أنتَ يامولاى حرّمتَ علىَّ إنشادَ الغَزَل فى حضرتك ...

عنترة « متراخياً فى جلسته » : سأُنشدك أنا ياعطمطم !

عطمطم : أتُنْشِدُنى غزلًا يامولاى ؟

عنترة : غزلًا فى ظِباءِ البادية ... أَرْعِنى سمعَكَ ...

عطمطم : أجديدٌ ماتقولُ يامولاى ؟

عنترة : إن المعانىَ لتحوِّمُ فى خيالى كالطير الهائمة ، وإنى لَمُسْلِمُها إليك الساعةَ منصاعةً طيِّعة ... !

عطمطم : قل لا نفَضَّ فُوك ، فإنى إلى جديد شعرِك شيِّق ، وإن عهدى به لبعيد ...

عنترة « ينشد فى نهل المرتجل » : مُرَنَّحةُ الأعطافِ مهضومةُ الحشا
مُنَعَّمَةُ الأطرافِ مائسةُ القَدّ

عطمطم « منتشيا ، يردد » : مائسةُ القدّ ! ...

عنترة « متابعا » : يَبِيتُ فُتَاتُ المِسْكِ تحتَ لِثَامِهَا

فيزدادُ من أنفاسِها أَرَجُ النَّدِّ !

عطمطم « يردد » : أرجُ النَّدِّ ! ...

عنترة « متابعا » : ويطْلُعُ ضوءُ الصبح تحت جَبِينها

فيغشاه ليلٌ من دُجَى شعرِها الجَعْدِ

وبين ثنـاياها إذا ما تبسمتْ

مُدِيرُ مُـدامٍ يَمْزُجُ الراحَ بالشَّهْدِ

عطمطم « يردد » : يَمْزُجُ الراحَ بالشَّهْدِ ! ...

عنترة : أَتْرِعْ كأسِى ياعطمطم ...

عطمطم « وهو يقدم له الكأس » : بحقِّك زِدْنِى يامولاى !

« عنترة وعطمطم يشربان . يغشى الصمت مجلسهما برهة .

يتراخيان فى جلستهما ، يسمع الفتى سيف وهو ينشد »

سيف « فى الخارج ، ينشد » :

أنا لا يَهْدَأُ شَـوْقِى فى بِعـادٍ أو لِقَـاءْ

طيفُكِ المحبوبُ شُغْلِى فى صبـاح أو مَسَاءْ

أنتِ ياعبـلةُ أُنْس لفؤادى وهَنَـاءْ

عنترة « يرفع رأسه مصغيا » : لمن الصوتُ ؟

عطمطم : الفتى سيف ...

عنترة « مغمغما » : ما فَتِئَ يترنَّمُ بشعرى وقد نهيتُـه عن إنشادِه !

عطمطم : إن شعرك لم يَعُدْ مِلْـكاً لك . إنه حَقٌّ مباحٌ لكلِّ راغب فيه .

عنترة : ماذا تقول ؟

عطمطم : أمستطيعٌ أنتَ أن تمنَعَ الناسَ الاستمتاعَ بنور الشمس ؟

« يتضاحك عنترة مغمضة عيناه . يعاود الفتى سيف غناءه . »

سيف « فى الخارج » : طَيْفُكِ المحبوبُ شُغْلى فى صباح أو مَساء
حينما ترضَيْنَ عنّى يملأُ القلبَ الرجاءْ
فإذا الكونُ نعيمٌ وإذا الدنيا صفاءْ

عنترة : عطمطم !...

عطمطم : مولاى !

عنترة : إنّ لهذا الفتى صوتاً حَنُوناً ...

عطمطم « وهو يكرع من كأسه » : كأنه هديلُ الحمام إذا هاجَه الشَّوْقُ والهُيام .

عنترة : أُتْرِعْ كأسى أُتْرِعْ ! « يملأ عطمطم لعنترة كأسه .

يشرب عنترة ثم يستلقى على حشية . »

سيف « يغنى فى الخارج » : منكِ ياعبلةُ عَزْمِى فابْعَثِي فىَّ المَضاءْ
وصِلينى فى دُنُوِّى إن فى الوصلِ شفاءْ
واذكُرِينى فى بِعادِى إن فى الذكرِ وفاءْ

الفصل الخامس

المنظر الأوّل

« الوقت أصيل ...
أمام خيمة عنترة ...
عنترة واقف يشحذ سيفه ... هند قادمة ... »

عنترة « وقد لمح هند » : من أين يا هندُ ، وإلى أين ؟

هند : فيم سؤالُكَ ؟

عنترة « وهو مقبل على سيفه يشحذه » : قليلٌ من فُضول !

هند : سؤالُ الفضولىِّ لا جوابَ له عندى ...!

عنترة « وقد رفع رأسه مبتسما » : فإن كان سؤالَ صديق ؟ ...

هند : لهذا حكمٌ آخرُ ، ولكنى لا أستطيعُ الكلامَ ...

عنترة « وهو يداعب خدها بيده » : إذن أنتِ فى طريقِك إلى زيارةٍ عاطفية تقتضى حَيْطَةً ومُسَاتَرَة ! ...

هند : ربما كان حقّا ما تقول ... أغَيُورٌ أنتَ ؟

عَنترة : لهذا سألتُ ... أجيبينى : من أين ؟ وإلى أين ؟

هند : لن أُحيرَ جواباً ... « تهم بمتابعة سيرها »

عنترة « وهو يعترض طريقها » : الأمر جِدٌّ إذن ... هناكِ حبيب !

هند : دَعْنِي ...

عنترة : لن أدعَكِ قبل أن تُفضِي إليَّ بسرِّكِ !

هند : خلِّ سبيلي ...

عنتره : لن تُفلتِي من يدى !

هند : ثم ماذا يا عنترة ؟...

عنترة : لا تَضيقِي نفساً بى ...

هند «وقد عقدت يديها على صدرها وصمتت برهة» : قلتُ لكَ : ثم ماذا يا عنترة ؟

عنترة : لا سرَّ بين عنترة وصغيرتِه هند !

هند : إن إفشائِى لهذا السرِّ يثيرُ غضبَ عبلةَ ...

عنترة « وقد حدق فيها مهتما » : ما شأنُ عبلةَ بهذا ؟

هند : إنه ليس بسرِّى !

عنترة « وقد أمسك يدها بغتة » . ماذا تَعْنِين ؟ أهنالك رجلٌ ينتظرُ قدومَ عبلة ؟

هند : أَطلِقْ يدى ...

عنترة « وقد شد على يدها » : أراكِ لا تُجِيبين !

هند : قلت لكَ أطلقْ يدى ...

عنترة « وقد تطاير من عينيه الشرر » : يا هند ... أنتِ على شفا هُوّةٍ تَعْبَثِين بها. صارِحِينى ... ما وراءكِ ؟

هند : ماذا بينكَ وبين عبلةَ حتى يبلغَ بك الاهتياجُ هذا المبلغَ ؟

عنترة « وقد تمالك » : إن هو إلا عِرْض من أعراضِ القبيلة علىَّ أن أذودَ عنه وأن أحميَه ! ...

هند : أفكانت نفسُكَ تهتاجُ هذا الاهتياجَ لوكان العِرْضُ عِرضَ هند أو عرضَ دعجاء ؟ !

عنترة « وهو يحاول كظم غيظه » : نعم ، الأعراضُ عندى سواء .

هند : طِبْ نفساً ياعنترة . . ليس فى الأمر حبيب ! ... هى حفلةٌ تُزْمِعُ عبلةُ أن تقيمَها الليلةَ ...

عنترة : أيةَ حفلةٍ تَعْنِين ؟ ولم الخفاءُ إذن ؟

هند : أرادتْ عبلةُ أن تَقصِرَ حفلتَها على الصبايا من صُوَيْحِباتِها ... حفلة للصبايا وحدَهُنَّ !

عنترة « وقد اشرق وجهه » : للصبايا وحدَهُنّ ؟

هند : لن يشهدَها من الرجال أحد ... أفهمتَ الآن لمَ الحَيْطةُ والتخفِّى ؟

عنترة : ولكن لماذا قصَرَت عبلة على صُوَيحِباتِها العذارَى هذه الحفلة ؟

هند : لكى تهيئَ لنفسها ولصويحباتها مجلسَ مُتْعةٍ وإيناس ، يلعبْنَ ويَمْرَحْن ، ويرقصن ويغنين ، لايحتشمْنَ من أحد ولا يأبَهْنَ لأحد ، ولا يخشَيْن عيونَ الرقباءِ من الرجال ! ...

عنترة « وقد بدا من عينيه وميض وهاج » : وأين تكونُ هذه الحفلة ؟

هند : الحق أنك قد تجاوزتَ الحدّ ... « تنظر إليه مليا »

عنترة : إنه مجردُ سؤال لستُ أبغى من ورائه شيئاً ... لن أعكر عليكنَّ صفوَ حفلتِكُنَّ ... أين تكونُ الحفلة ؟

هند « هامسة » : على غديرِ ذاتِ الأرصاد ...

عنترة : ما أطيبَهُ مكاناً ... « بعد لحظات قصيرة » وإذا وقع ماليس فى حُسْبانِكُنَّ ، وهبَط عليكنَّ رجل ، فماذا أنتنَّ فاعلات ؟

هند : نطارده فى عُنْفٍ وشدّة حتى نخلىَ المكانَ منه ...

عنترة : وإذا كان هذا الضيفُ من الأصدقاءِ الخُلَّص ؟

هند « تحدق فيه وقتا وتبتسم ، ثم تقبل عليه مداعبة » : قَسَماً إنك لتحدّثُكَ نفسُكَ بالقدوم ... !

عنترة : أو تظُنِّينَ ذلك ؟

هند « ضاحكة » : بل أؤكّدُه ...

عنترة : ما أنتِ صانعةٌ إذن ؟

هند « بعد فترة صمت » : أنتَ لى صديق ، ولك عندى مكانة ... فإذا أصررتَ ...

عنترة « مبتسما » : لستُ مصرًّا كلَّ الإصرار ...

هند : لابدَّ من تدبير حيلة ... « تفكر هنيهة » حسناً ...

« تقبل عليه وتنير إليه أمراً ، ثم تقول فى صوت مسموع » :

ماذا ترى فى ذلك ؟

عنترة : ما ألمعَ ذكاءَك ! ... هذه بُغْيَتى !

هند : سترى كلَّ شىء ، ولن يراكَ أحد ...

عنترة : بُورِكَ فيكِ ياهند ...

هند : إنه سرٌّ بيننا ... بيني وبينكَ أنتَ وحدَك ... فكن على حَذَر، حتى لا يفتضحَ الأمر ...

عنترة : اطمئنّي ياصديقتي الوفيّة ... اطمئني ... سأُهْدِي إليكِ صُندوقاً مرصّعاً بلؤلؤِ البَحْرَيْن ...

هند : فقط ؟ !

عنترة : ماذا تبغينَ غيرَ هذا ؟ أجِيبي !

هند : لن يهدأَ بالي حتى ... حتى أنتهِبَ كنوزَكَ ، وآتيَ عليها أيها الساحرُ الهنديّ ... !

« يتضاحكان »

المنظر الثانى

« غدير ذات الأرصاد .

الوقت مساء ... اليوم نفسه ...

القمر يغمر البقعة بضيائه الفضى .

تقبل أم هرم وحازم وبعض التابعات ،

يلقون ببعض الخشايا ويضعون قدور الطعام . »

أم هَرِم « لحازم » : قلت لكَ لا تحضُرْ ، فلم تستمع لقولى ... إن الرجالَ لا يُؤذَن لهم أن يشهدُوا هذه الحفلة ...

حازم : عجيبٌ أمرُكِ ... وهذه القدور ، أيبنكنَّ من تستطيعُ حَمْلَها ؟

أم هرم : نشكرُ لَكَ على أيةِ حال ولكن يجبُ أن ترجعَ أدراجَك ...

حازم : سأفعل ... « يرتب بعض الأشياء » وماذا تقصد عبلةُ بكلِّ هذا ؟

أم هرم : إنها حفلةٌ صغيرة تريدُ أن تقيمها لِصَوَيْحِبَاتِها احتفاءً بخِطْبَتِها للأمير ...

حازم : ومتى يحينُ يومُ الزواج ؟

أم هرم : لم يُبَتَّ فى شأنه بعد ... ولكنه وَشِيك .

« تسمع أصوات » لقد حضرن ... اذهبْ ... اختفِ ...

« تدفعه فيخرج متسللا ... بعد لحظة تدخل عبلة وهند ودعجاء ونجلاء وبعض فتيات الحى مرحات يتضاحكن يصحبهن الغلام سيف . »

عبلة « للجمع » : شكراً لكنَّ يا صديقاتى ... أرجو أن أحقِّقَ لكُنَّ

فى هذا الاجتماع الصغير لطائف المُتَع ... إنها حفلتُنا ... حفلة الصبايا الطَّروبات ... نريد أن نحيا لحظات هادئات منعّمات لاتروّعُنا أنظارُ الرجالِ العطْشى ... أطْلِقْنَ أنفسَكُنّ على سَجِيّتِها ... لاتخشينَ شيئا ... لن يقربَ المكانَ رجل ... ماأحسنَ أن تلتقيَ الفتياتُ بعيداً عن الرجال !

« سيف يسعل ليشعر الحاضرات بوجوده . تتجه إليه العيون . »

نجلاء « وهى ناظرة إلى سيف » : يالَلْعجب ... كيف لم تَنْتَبِهْنَ لوجوده ! كيف نرتكبُ هـذا الخطأ ؟ ألم نشترط ألا يحضرَ مجلسَنا إلا النساءُ ؟

هند : ليس ثمّةَ من خطأ ...

دعجاء : إنه ... إنه بعيدٌ عن جِنْسِ الرجال !

هند « واقفة فى خيلاء أمام سيف ، وقد وضعت يديها فى خصرها » : أتقبَلُ أن تكونَ من جنس النساء ؟

سيف « ينقل بصره هنيهة بين الفتيات وبين قدور الطعام ، ثم يحك رأسه بأصبعه » : حقّا ، لا أدرى !

عبلة : اطمئنّ ... لستَ برجل !

دعجاء : وليس بفتاة ...

سيف : يالَلنكْبة ! ... إذن ماذا أكون ؟

هند : أنتَ فتاة ستنقلبُ شابًّا بعد حَوْل ...

سيف : آه ... لا ، لا ... لستُ فتاة !

نجلاء : أترفُضُ أن تكونَ فتاة ؟

سيف : كلا ، إنما ... الواقع هو ...

« يتم حديثه مع نجلاء ودعجاء بصوت خافض ... عبلة تنحى بهند جانبا ... »

عبلة « لهند ، منفردة بها » : أيحضُر ؟

هند : نعم ، سيحضر ...

عبلة : لم تَذْكِرى له أننى عالمةٌ بحضوره ...

هند : أتحسبينَ هنداً من البلاهة بحيث تَقَعُ فى مثل هذا ...

عبلة : وأين يكون مخبَؤُه ؟

هند « تشير بيدها فى الخفاء » : خلفَ هذه الظُّلَّة ...

عبلة : أيكون قد أوهَمَكِ بأنه سيحضُر ، ولن يفعلَ ؟

هند : سيأتى حتما ... وسترَيْن ... آه لو أبصرتِ به وقد اتقدتْ عيناه بلَهَبِ الغَيْرَةِ حين ظنَّ أنكِ على موعدٍ مع رجل ...

عبلة : أنتِ واهمة ...

دعجاء : فبم تَتَسارَّان ؟

عبلة : كنا نتحدَّث فى مشكلةِ سيف ...

نجلاء : لقد أقرّ بأنه فتاة ، وانتهى الأمر ...

هند « لسيف » : أزْجِى إليكِ تهنئتى الخالصةَ ياصديقتى الحبيبة !

سيف : كيف هذا ؟ كيف ؟

نجلاء « وهى تشير إلى القدور » : لايمَّس مافى هذه القدورِ إلا الإناثُ ...

سيف : فلا كُنْ مُؤَنِّثاً على بركةِ الله ... هاتُوا الطعام ...

« يذهب بنفسه ويرفع اغطية القدور ويتأمل ماحوت »

ماأشهى هذا الثريدَ ! ... وهـذا المَجِيعُ ماأطيبَه ! ... وهذا القديدُ ماأعظمَه ! ... يالله ! ... أجِئْتُنَّ أيضاً بفالوذَج ؟

« يتلفظ طويلا ، ويمتص لعابه » طعامُ الملوك !

نجلاء : أتحبُّ الفالوذَجَ ياسيف ؟

سيف : أموتُ فِدَاءَه !

هند : إنه طعامُ عنترةَ المفضَّل ...

دعجاء : وطعامُكِ المفضَّلُ أيضاً ! ...

عبلة « لدعجاء » : وكيف تجدِينَه أنتِ ؟

دعجاء : لونٌ غيرُ سائغ ... لامِيزةَ له .

عبلة : إنى على رأيك ... نحن أهلَ البادية لانشتهى هـذه الألوانَ الدخيلةَ علينا !

سيف : لونٌ سائغٌ أو غيرُ سائغ ، ألا تَبْدَأنَ الطعام ؟

هند : الطعامُ بعدَ الغِناء والرقص ...

سيف : كيف ؟ هذا تَعَنُّت ...

نجلاء : لاحِيلةَ لك ياسيفُ ... الغِناءُ والرقصُ أولا !

عبلة : هيّا ، فلنبدأ ... غنِّ لنا شيئاً ياسيف ...

« سيف يتوسط الحلقة ويبدأ يغنى ... هند تتسلل تاركة المكان »

سيف « ينشد » : أَنَانى طَيف عَبْلةَ فى المَنامِ

عبلة « تقاطع سيفاً » : صمتاً ... صمتاً ... لا أريدُ هذه الانشُودة !

سيف : كيف ياسيدتى ؟ « ينظر إلى الجمع مستطلعاً رأيهن »

نجلاء : ولِمَ ياعبلة ؟

عبلة : ذِكْرَيَاتٌ أدرَكها البِلىٰ ، ولا أرغبُ فى نَبْشِ رُفَات الموتىٰ !

دعجاء : أتخشَيْن على نفسِكِ من هذا الرُّفَات ؟

عبلة : لاأخشَى شيئاً علىَّ ، بل أخشى على غيرى ...

دعجاء : كيف ؟

عبلة : قد يثيرُ فى بعضِ القلوبِ رواقدَ الأشجان !

دعجاء « تتضاحك فى انفعال وتصايح » : حقًّا إنه ليثيرُ أشجاناً وأشجاناً ...
ها ... ها ... غنِّ ياسيفُ غنِّ ...

سيف « يعود إلى الغناء » :

أَتَانى طَيْفُ عَبلةَ فى المَنَامِ فَقَبَّلَنى ثَلاثاً فى اللِّثَامِ
ووَدَّعَنى فأَوْدَعَنى لَهِيباً أُسَتِّرُهُ وَيُشْعِلُ فى عِظَامِى

« تعود هند »

هند « لعبلة ، جانباً » : لقد حضر ...

« عبلة تبرق عيناها ، وتأخذ فى إظهار مفاتنها ، وتبسط شعرها ، وتخلع بعض ملابسها ، فتبدو ذراعاها عاريتين »

عبلة « مهمهة » : إن حرَّ الليلةِ لايطاق !

« تثنى وتتغابد فى مشيتها وتشير إشارات فيها دل وتيه ، وتمسك بهند وتبدأ الرقص ، فتحذو حذوها الفتيات ... بعضهن يرقص وبعضهن يصفق ... دعجاء ونجلاء فى المصفقات »

سيف « منشدا » :

أذِلُّ لِعَبلةٍ من فَرْطِ وَجْدِى ... وأجعَلُها من الدُّنيا آهتمامى
وأمتَثِلُ الأوَامِرَ والنَّواهى ... وقد ملكَ الهوَى منى زِمَامِى
أيا ابنةَ مالك كيف التَّسَلِّى ... وعهدُ هواكِ من عَهْدِ الفِطَامِ
لعمرُ أبيك لأسلُو هواها ... ولو طحَنَتْ محبَّتُها عِظامى

هند « تتظاهر بالذعر » : صديقاتى ... صُوَيْحِباتى ...

« الفتيات ينظرن إليها متطلعات ... هند تشير إلى الظلة »

أرى شيئاً يتحرَّك ... هناك ...

« تتجمع الفتيات ، وينظرن إلى الظلة متخوفات »

سيف « وهو يرتعد » : إن الظُّلَّة هى التى تتحرَّك !

عبلة : أتزعم أنها تتحرَّكُ من مكانها ؟

نجلاء : شىءٌ يتحرَّكُ فيها ...

سيف : أيكونُ ثُعباناً كبيراً ؟ ... أسمَعُ فَحيحا !

هند : أىّ فَحيح ؟ إنى لألمَحُ خلفَ القَصَب عينَيْن متقدتَيْنِ كالجمْر !

دعجاء : لعلَّه أسَد ... « الفتيات يتجمعن ، ويتصايحن فزعا »

عبلة : ألزمْنَ الصمتَ ... إن الصياحَ يَهيجُ الأُسُود !

« الجمع يصمت وهو يحدق ناحية الظلة »

نجلاء « فى همس » : ألا يتقدمُ أحدٌ ليجلوَ لنا الأمر ؟

هند « لسيف » : أنتَ الرجلُ الوحيدُ بيننا ... ألا تتقدَّمُ لتدفعَ عنا ؟

سيف : أنا رجل ؟ ... لقد أشهدتكُنَّ على نفسى بأنى فتاة !

هند : يا لَلْجُبْن ! أما تَسْتَحِى ؟ تَقدَّمْ ... « تزجه »

سيف : الجبنُ أمام الأُسود شَرَفٌ وسُؤْدُد ! ... اتركينى ...

« يخاطب الأسد فى ضراعة » : نَشَدْتُكَ الله أيها الضرغامُ إلا رَحِمْتَنا !

« يبدو عنترة فجأة من خلف الظلة ، ويقفز إلى الجمع ... يظهر فى ملابس البدو أول مرة بعد عودته من فارس ... »

عنترة « صائحا » : كلا ... لن أرحمكن ... سألتهمكُنَّ التهاما !

الجمع : عنترة ! ... عنترة ! ...

سيف : لم يخطئْ ظنُّنا ... إنه الضرغامُ عينُه !

دعجاء : إنها لَخِيَانة ...

فَتيات « يرددن » : خيانة ... خيانة ...

عنترة : ليس ثمةَ من خيانة ... أُقسمُ لكنّ ...

عبلة « متغاضبة ، تقاطعه » : من دلَّكَ على مكاننا ؟ وكيف استبحتَ لنفسِك دخولَ حَرَمِنا ؟

عنترة : لم يقُلْ أحد إن غديرَ ذاتِ الأرصاد حَرَمٌ ووَقْف على الفتيات ...

عبلة : لقد قلتُ أنا الليلةَ ذلك !

عنترة : لاعلمَ لأحدٍ بهذا ...

عبلة : كفَى استخفافاً بنا ياعنترة ... إذا كنتَ تعلَمُ بمكانِنا وأبيتَ

إلا أن تقتحمه علينا ، فإن ذلكَ منك جريمةٌ لا تُغتفر ...

عنترة : إن أمرى واضح ... خرجتُ أتنزّه فى ضوء القمر ، فقادَتْنى قدماىَ دون قَصْدٍ إلى غدير ذات الأرصاد ، فسمعتُ غِناء وطرَباً ، فحدانى الفضولُ أن أتقدمَ لأعلمَ ما الخبر ؟

نجلاء : يلوحُ لى أن عنترةَ لم يكنْ سَيِّءَ القَصْد ...

هند : أما أنا فأراه سَيِّءَ القصد ...

عنترة : وماذا تَرَيْنَ ياهند ؟

هند : نحاكِمُه ...

عنترة : أرضَى بذلك ، وسأدافعُ عن نفسى خيرَ دفاع ... ولكن من يكونُ قاضِىَّ ؟

دعجاء « تشير إلى عبلة فى شىء من السخرية » : وهل لدينا غيرُ عبلةَ تصلُح أن تكونَ قاضِيَك ؟!

عبلة : سأكون سَيِّافَهُ ...

« تخطف بدلال سيف عنترة ، ثم تقول » : أنتَ أسيرى !

هند : لم يكن غيرَ ذلك طَوالَ حياته !

عبلة « تلتفت إلى الجمع » : إنه أسيرُنَا ...

الفتيات « يتصايحن » : عنترةُ أسيرُنا « يلتففن حوله »

عبلة : أترضَى أن أكونَ قاضيَك أيضا ؟

نجلاء : أتكونين خَصْما وحَكَماً فى وقتٍ معا ؟

عنترة « لعبلة » : لا أطمئن إلى قضاءِ غيرِكِ ...

عبلة : ألا تخشى قَسْوَتِي فى الحكم ؟

عنترة : القسوةُ منكِ رحمةٌ وعَدْل ...

دعجاء « فى سخرية » : لقد عرفنا الحكمَ ماذا يكونُ وانتَهت القضيَّة !

سيف : نعم ، نعم ... انتهت قضيةُ عنترة ، ولنبدأ قضيةَ القُدور !
إن بطونَنا تتضوَّر ... هَلاَّ رحِمْتموها ؟ ... ولنبدأ بالفالوذَج ...
وليحيَ الفالوذَجُ العنترىّ ... هيا ... هيا ...

نجلاء : هلمّوا ، رأفةً بهذا المسكين ... « تشير إلى سيف »

عبلة : هلمّوا ... « سيف يتقدم مهرولا نحو القدور ، فتقفه أم هرم »

أم هَرِم « لسيف » : قِفْ .. لا تتقدمْ ... لن تأخذَ إلا ما نُعْطِيكَ .

« سيف يتذمر ...
يلتف الجمع حول الطعام ، ويأخذون فى الأكل وهم يضجون ويتصايحون ...
عبلة وعنترة يتركان حلقة الطعام بعد قليل ، وقد أخذ كلاهما منه نصيبا فى يده ...
يسيران على مهل جنبا إلى جنب ، قاصدين غدير ذات الأرصاد ... »

عبلة « وهي تلوك طعامها فى فمها » : ما أحلى هذا الفالوذَج ! لم يكذبْ من سَمَّاهُ طعامَ الملوك ...

عنترة : أتحبِّينَه ؟

عبلة « ناظرة إليه بدلال » : إنى به مُولَعة !

عنترة : إنى لفَخور بذلك ، فأنا الذى أدخلتُ صناعتَه فى هذه البادية .

عبلة : لك أن تفخَر بذلك ، فقد غزوتَ به قلوبَ البَدْو ...

عنترة : وَدِدْتُ لو بغيرِ الفالوذَجِ غزَوْتُ هذه القلوب !

عبلة : أراكَ لا تأكلُ منه ... ماذا تطْعَم ؟

عنترة « وهو يأكل » : أطعَم بَجِيعاً ...»

عبلة : طعامُ عامَّةِ العرب ... إنه طعامٌ تافه ...

« يصلان إلى الغدير ...

عبلة تكشف عن ساقيها وتضرب قدميها فى الماء عابثة »

عنترة « وهو يأكل من المجيع » : ولكنى أجده شَهِيًّا جداً ...

عبلة : عنترة الفارسىّ يأكل المَجِيعَ ويستطيبُه ؟ ! أين هذا من اللَّوْزِينَج المعطَّر والطَّبَاهِج الرَّشْرَاش ؟ ...

عنترة : إنها المرةُ الأولى التى أذوقُ فيها المَجِيعَ بعد عودتى من فارس ... وإنى لأجدُ له مَذَاقاً يعلُو على اللوزينج والطباهج ...

عبلة : لقد شوَّقْتَنى إلى أكله ...

« يقدم لها عنترة مجيعه ، فتشاركه » حقا إنه لذيذٌ هذه المرةَ !

« تنظر إلى ثيابه » يلوحُ لى أنها المرةُ الأولى التى تستبدلُ فيها بملابسك الفارسية الثمينةِ ذلك الرداءَ البدوىّ !

عنترة « ضاحكا ينظر إليها » : وإنها المرةُ الأولى التى أجلسُ فيها تلكِ الجلسةَ على أديمِ الأرضِ لانمارِقَ ولا طنافِسَ ...

« يتمطى ويستنشق الهواء » ما أطيبَ حياةَ البادية !

عبلة : إنها حياتُك القديمة التى أضعْتَها ...

عنترة : كيف أضعتُها ؟ ... إنها لى أستعيدُها فى أىِّ وقت أشاء ...

عبلة : تظن أنك قادرٌ على أن تستعيدَ كلَّ شىء متى شئتَ !

عنترة « مبتسما » : ألستُ عنترة ؟

عبلة « ضاربة بقدمها فى الماء » : لقد سلبتُكَ سيفَك من يدك ، وسيفك كلُّ شيءٍ لك ، فكيف تستطيعُ أن تستردَّ ماترغبُ فيه ؟

عنترة : بقلبى ...

عبلة : أما زلتَ ذا قَلْب ؟

عنترة : وأين ذهبَ قلبى ؟

عبلة : إنه يهيمُ ضَلالًا فى بلاد فارس ...

عنترة : إنى لَأُحِسُّه يختلجُ بينَ جوانحى ...

« يمد يده إليها يريد أن يمسك يدها » : هاتى يدَكِ ...

عبلة « متراجعة بدلال » : لماذا ؟

عنترة : لتتعرَّفِى مكانَه ، وتتبيَّنى خُفُوقَه !

عبلة : ليستْ بى إلى ذلك حاجةٌ ... إنى بمكانِ قلبكَ عليمة ...

« تنثر عليه بكفها ماء مداعبة . يرتد قليلا ، ثم يقبل عليها »

عنترة : أتذكرِينَ يومَ رَشَشْتِنى بالماء فى هذه البقعةِ نفسِها قبلَ رحيلى إلى فارسَ ، حتى ابتلَّ ثوبى كلّه ؟

عبلة : كان عبثَ الصبا ولهوَ الطفولة ...

عنترة : مازلتِ على هذا اللهوِ والعَبَثِ !

عبلة : كلّا ، لم أعدْ عبلةَ الماضى ...

عنترة : هذا حقّ ، لأنك تتجدَّدينَ كلَّ يوم ... تتجدَّدِين حُسناً وبهاء ...

عبلة : يا لَلمُداهنِ الماكِر !

عنترة : أمُداهنٌ ماكرٌ أنا حقًّا ؟ « يقترب منها »

عبلة « فى مداعبة » : قلتُ لكَ لاتقتربْ منى ...

عنترة : أرغَبُ فى استردادِ سيفى !

عبلة : قبل أن أقتلَك ؟ ... هيهاتَ !

عنترة « مقبلا عليها » : هاتى سيفى ... قلت لكِ هاتى سيفى ...

« عبلة تقفز من مكانها ، وتجرى على الصخرة
بحوار الغدير ... يعدو عنترة خلفها »

عبلة « واقفة محتمية بالصخرة » : أما زلتَ مُعْتَزِماً أن تستردَّ سيفَك ؟!

عنترة : أفى ذلكِ شَكّ ؟

عبلة إذن جَرِّبْ ... « تلوح بالسيف فى يدها »

عنترة : عبلة ... لاتلعبى بهذا الحسامِ الباتر ... أخشى عليكِ منه ...

عبلة : ولم لاتخشَى عليه منى ؟

عنترة : رُدِّيه إلىَّ بسلام ...

عبلة : وإذا لم أرُدَّه بسلامٍ إليك ؟

عنترة : أخذتُه غَصْبا ...

عبلة : أعِدُكَ أن أردَّه إليك على شرطٍ واحد ...

عنترة : وما هو هذا الشرُط أيتها الجِنِّيَّة ؟

عبلة : أن أُحلِقَ به لحيتَك ...

عنترة : لحيتى ؟ ... كما فعلتِ بى فى الماضى ؟ ... هيهاتَ !

« الجمع هناك منهمك يا كل ، بيد أن دعجاء تلحظ غيبة عنترة وعبلة ... فتتطلع تريد كشف مكانهما ، فتحول هند دون ذلك بلباقتها فى الحديث والاشارة »

عنترة « لعبلة » : قلت لكِ تعالَىْ ...

عبلة : ولحيتُك ؟

عنترة : هاتى السيفَ ياشيطانة ...

عبلة : أسْلِمْنى لحيتَك أُسْلِمْكَ سيفَك !

عنترة « ناظراً إليها فترة وهى تلاعب بالسيف فى دلال » : قبلتُ ماتريدينَ ... تعالَىْ ...

« عبلة تعتلى الربوة ، وتتهيأ للقفز ...

عنترة يبسط لها ذراعيه ، فترتمى بين أحضانه ...

يحملها إلى الغدير ... على حين يبدأ الفتى سيف يغنى بتحريض من هند »

سيف « ينشد » : أنتِ للعـين ضياءْ أنتِ للروحِ دواءْ
أنتِ ياعبـلةُ أُنْس لفؤادى وهَنَـاءْ
أنا لا يَهْدَأُ شَـوْقِى فى بِعـادٍ أو لِقَـاءْ
طيفُكِ المحبوبُ شُغْلى فى صباح أو مَسَاءْ

« عبلة تفترق عن عنترة وترقص بالسيف أمامه ، وهو يراقبها فى شغف ، ثم لايلبث أن يقبل عليها ويراقصها » .

سيف « يتابع إنشاده » :

حينما تَرْضَيْن عنى يملأُ القلبَ الرجاءْ
فإذا الدنيـا نعيمٌ وإذا الكونُ صَفاءْ

وإذا بى فى حُبــور وابتهــاج وازدهاءْ
منكِ إقدامى وعَزْمى فابقى فِىَّ المَضاءْ
وَصِـلينى فى دُنُوى إن فى الوصل شفاءْ
واذكرينى فى مَغِيبى إن فى الذِّكْرِ وَفاءْ

« يظهر الأمير عمارة لجأة على الربوة الكبيرة . يسطع ضياء القمر عليه ...
يتوقف الجمع عن الغناء والرقص ... »

عُمارة « فى لهجة الساخط المغيظ » : بل تابعوا ما كنتم فيـه ... لم أحضُرْ لأعكِّرَ عليكمْ صفوَ ليلتكم ...

« ينزل من الربوة متمهلا ، ولا يحيي عنترة .
عبلة تنقل بصرها بين الأمير عمارة وعنترة .
تقف وقفة الظافر بانتصارها على أكبر قلبين تضمهما البيداء ...
الأمير عمارة يواصل حديثه فى لهجة المتهكم » .

قلتُ لكم تابِعوا الغناءَ والرقص ...

عبلة « تتجه نحوه » : أنتَ فى غضبِكَ مُحِقّ !

عمارة : أغاضبٌ أنا ؟!

عبلة : أنتَ خاطبي ويَحِقُّ لكَ أن تغضَبَ ، إذْ ترى خاطبتَك يراقِصُها رجلٌ غيرك ...

عُمارة : ومادمتِ تُدْرِكين ذلكِ فلمَ تُقْدِمينَ على هذه الفَعْلة ؟

عنترة : لستُ غريباً عن عبلةَ أيها الأمير ... إن صلةَ الرَّحِم تربِطُنا ، ونحن من قبيلةٍ واحدة ...

عُمارة « لعنترة » : أوَجَّهتُ إليكَ الكلام ؟

عبلة « تتقدم من الأمير عمارة » : الحق أنى أخطأتُ ، ولـكنه خطا بلا قصد ... طلَبَنِي للرقص ، فَعجِلْتُ أن أردَّه ... أُقسِم ...

عنترة : ولِمَ القَسَم ؟

عُمارة « لعنترة » : أتزعُم إذن ...

عبلة : « وقد أقبلت على الأمير عمارة » : لايزعُم شيئاً ... لم يَعْدُ بينى وبين عنترةَ شيء ... لقـد وهبتُك أنتَ قلبي وكفَى ، وإنى لأملِك إلا قلباً واحداً ...

عُمارة : عبلة ؟!

عبلة : أميرى ، وخاطبي ، بل زوجى ...

« تميل على صدره فيحتضنها ... عنترة مغيظ ، ولكنه كاظم غيظه ... هند فى حيرة ... دعجاء تتفرج فى شوق وحماس ... »

عنترة « بعد تردد » : إن وقتى لأثمنُ من أن أُضَيِّعَهُ فى هـذا المكان ... إن غزوةَ بنى فَهْد تنادِينى ... إن الحربَ مَشْغَلتى ...

« يتهيأ للخروج ، ويلتفت إلى الأمير عمارة قائلا » :

أما الحبّ فإنى أدعُه لك فلتنعمْ به ... طابَ ليلُكم !

« يخرج مهرولا »

عبلة : والآنَ إلى الرقص والغناء ...

« تبادل الأمير عمارة نظرات الهيام . تترك الأمير وتسرع إلى الجماعة لتنظم حلقة الرقص . تميل على هند وتضغط يدها فى ابتهاج . تنحى بها جانبا وتقول متحمسة » :

إنه يحبُّنى ... يحبنى ...

هند « متسائلة فى سذاجة » : من ؟ ... الأمير ؟

عبلة « ضاحكة فى استهزاء » : الأميرُ أمرُه واضح ...

هند : تَعْنِينَ عنترة ...

« فى سذاجة » : ولماذا إذن تركْتِهِ ينصرِفُ كالطَّرِيد ؟!

عبلة « لا تعنى بالرد على سؤالها ، بل تجذبها من يدها ، وتصيح » : إلى الرقص ...
إلى الغِناء ... هيّا ...

« تترك هندا . تعود إلى الأمير عمارة منتشية فرحة .
هند تقف فاغرة فاها »

دعجاء « وقد اقتربت من هند » : لا تعجَبى يا هند ... لا تعجَبى ... مازلتِ طفلةً يا صغيرتى !

« الغناء والرقص يبدآن ...
الأمير عمارة يراقص عبلة ... »

الفصل السادس

« بقعة رملية وراء الجبل يبدأ منها « فم الشعب » وهو الطريق الوحيد الذى يصل مناطق الصحراء بمضارب بنى فهد ومخيم قبيلة الأمير عمارة الكندى ...

يبدو الأمير عمارة الكندى وهو ممسك بزمام الجمل الذى عليه هودج عبلة ذو الألوان العنابى ، خلفه الركب من الأعوان والأتباع »

عمارة « يقف جمل الهودج » : حطّوا الرِّحالَ لحظةً يارجال ... حتى نصلحَ من شئوننا ... ونُعِدَّ أنفسَنا لاجتياز هـذه الشِّعَبِ الوَعْرة ...

« يصفق ناحية الهودج » : عبـلة ... عبلة ...

« تطل عبلة من الهودج » انزلى ياحبيبتى ، لنستريحَ بضعَ لحظات ، ثم نتابعَ السير ...

« يتلقاها بين يديه نازلة عن الهودج . تنزل بعدها هند ...

الأمير عمارة يربت يد عبلة ملاطفا ، مدللا ، ثم يواصل حديثه » :

لن نتأخرَ طويلا ... سيكون وصولى إلى مُخَيَّمِى فى الوقتِ الذى عَيَّنَّاه ... إن أباكِ مع القومِ هناكِ ينتظرون قدومَنا ... إنهم ليذوبونَ شوقاً لِاستقبالِ أميرةِ كِنْدَةَ ...

« يقبل يدها » لستِ أميرةَ كندةَ وحدَها ... بل أنتِ أميرةُ كلِّ هذه البادية ...

عبلة « يعلو وجهها بعض السهوم » : أشكرُ لكَ أيها الأمير ...

عُمارة : ماهذه الكُلْفةُ ياعبلة ؟ لقد طلبتُ إليكِ ألا تُلَقِّبِيني بالأمير . قولي : ياعُمارة ... بل قولي : يا ... حبيبي ... !

عبلة : مهما يكنْ من أمر فمراسمُ الزواج لم تتمَّ بعد ... أتقيمُ وَزْناً للألفاظ وأنتَ عليم بما يكِنُّه لك قلبي ؟

عمارة : « يقبل يدها مشغوفا » : شكراً ... شكراً لكِ ياعبلة ... والآن سأذهبُ للإشراف على الأتباع ... وسأعود إليكِ بعد قليل ...

« الأمير يخرج ... عبلة وهند تخطوان بضع خطوات »

عبلة : أف ... أف ...

هند : ولم التأفف ؟

عبلة : من وَقْدَةِ الحرّ ... « تروح وجهها بطرف خمارها »

هند « تنظر إليها مستريبة » : حقا إن الحرَّ لا يُطاق !

« تروح وجهها بطرف خمارها أيضا »

ولكنني مع ذلك أرى الجوَّ رَخِيَّ النَّسَمات ... كلُّ النـــاس يقولون : إننا محظوظونَ بالخروج هذا اليومَ ...

عبلة : ماذا تقصِدين بكلامِكِ هذا ؟

هند : لاشيءَ ! « بعد صمت قصير » : أف ... أف ...

عبلة : ماذا ؟

هند : الحرّ ... لا يُطاق ! « تروح وجهها بطرف خمارها »

عبلة : أتهزئين بي ؟

هند : معاذَ الله ...

عبلة : إذن ...

هند : بي ضِيق شديد ...

عبلة : أفي يوم عُرْسي تُحِسّينَ ضِيقاً وهَمّا ...

هند « تحدق فيها » : لا أستطيعُ أن أحسَّ السعادةَ ياعبلة ، وأنا أراكِ تُزَفّينَ إلى الأميرِ عُمارة ...

عبلة : وإلى من كنتِ تَوَدّينَ أن أُزَفّ ؟

« هند تنظر إليها في صمت ، ثم تهم بالكلام ، فتسبقها عبلة »

لا أريد أن تلفِظي باسمِه أمامي ... لا أريد ... المتغطرس ... المغرور ...

هند « كأنها تتحدث إلى نفسها » : إنه وربي لَمَظْلوم ...

عبلة : أسكتي ولا تُطيلي اللَّجاج !

هند : ما ذا كنتِ تريدين منه أن يَفْعَلَ بعد أن رأى منكِ ما رأى ليلةَ الغدير ... غديرِ ذات الأرصاد ...

عبلة : لا أريد منه أن يفعلَ شيئا ... إني أكرهُه ... أمقُتُه ... أسامعة ؟ ... لقد ظنَّ بعد عودته من فارس أنه ملَكَ الأرضَ واستعْلَى سلطانُه على مناطِ الجوزاء ! ... أما الآخر ...

هند : الأمير عُمارة ...

عبلة : خاطبي ... زوجي ... حبيبي ، فإنه مِثالُ الرجل الكامل ... وإنى أُحبُّه ، وأنا سعيدة بزواجه ...

« تسير مهتاجة بضع خطوات ، ثم تقول » : أُف ... أُف ...

هند : الحرُّ لايطاق !

« تسير عبلة وقتاً جيئة وذهوبا فى اهتياج ... هند تجلس على صخرة وقد أسندت وجهها إلى كفيها ... تقف عبلة فجأة أمام هند »

عبلة : إنه لم يحضُرْ لمشاهدة عُرْسِى ... وإنى بذلك لقريرةُ العين ...

هند « وهى على حالها » : لقد خرج لغَزْوِ بنى فَهْد ...

عبلة : ولماذا اختار لهذه الغزوةِ اليومَ الذى اخترناه نحنُ لحفلةِ العُرْس ؟

هند : يقولون إنه استخبرَ الْمُنَجِّمِينَ ، فعيَّنُوا له هذا اليومَ ، وقالوا إنه له يومُ سَعْد ! ...

عبلة : بل سيكون أشأمَ يومٍ فى حياته ... إنى لأرجو أن يلقَى من بنى فَهْد شَرَّ هزيمة وخَيْبَة !

هند : ماهذا القولُ ياعبلة ؟ إن هزيمتَه هزيمةٌ لقومنا ...

عبلة : لقومكم أنتم ! إنى اليومَ إلى كندةَ أنْتَسِب ... كندةَ العظيمة !

هند : سينتصر عنترة ... ما من ذلكِ بدّ !

عبلة : سنرى !

هند : أفى ذلكِ تُشكِّين ؟

عبلة : ماذا تُرَجِّين من رجلٍ أضحى زِيرَ نساء حَلِيف شَرَاب ؟ ... أبقيتْ عنده للحرب هِمَّة ؟

« يظهر الأمير عمارة محاطاً بأعوانه وأتباعه »

عمارة « للجمع » : هَيِّئوا ، شُدُّوا الرِّحال ، ولنَمْضِ على بركة الله ...

« الجمع يتهيأ ... يقبل حرسى مهرولا ... »

الحَرَسِيّ « للأمير عمارة » : سيدى الأمير ...

عمارة : ماذا ؟

الحَرَسِى : إن رجالَ عنترة قد ظهروا على حينِ فجأة واحتشدوا على « فَمِ الشعَب » يبتغونَ أن يأخذوا الطريقَ قبل أن نأخذه ...

عبلة : يا للدَّاهية ! ... يريدون أن يجتازُوا الشِّعَب قبلَنا ، فيسدُّوا علينا الطريقَ ، ويُرْهِقُونا بالغُبار ... مُحال !

عمارة : اعترِضوا طريقَهم ...

الحرسىّ : لقد فعلْنا ... ونخشى أن يلتحمَ الفريقان .

« تسمع ضجة يتبين الجمع فيها صوت عنترة يجلجل ... بعد لحظة يظهر فى لمة من أنصاره »

عنترة « للأمير عمارة » : أبأمرِك مُنِعَ رجالى من نزول الشِّعَب ؟

عمارة : نعم .

عنترة : ألا تعلم أنهم رجالى وأنى ماضٍ بهم لغَزو بنى فَهد ؟

عُمارة : لقد جئتُ برَكْبى فى هذا المكان قبلكَ ، فلى أن أتقدَّمَك فى السير .

عنترة : ركبك ؟ ... قلتُ لك إنى قادِمٌ لغَزْوِ بنى فَهْد ، فَنَحِّ رجالَك عن الطريقِ بسلام ...

عبلة « تتقدم شاحبة الأنف » : إنه ركبى أنا أيضا وسيمرّ قبل جيشك !

عنترة « يتظاهر بأنه لم يرها حتى الآن » : أميرةُ كِنْدةَ ؟ تحياتى وإجلالى ...

« ينحنى محييا » أعلم أن الركبَ ركبُ عُرْسِكِ ، ويسوءُنى أن ينشبَ بينى وبين الأمير خاطِبِك هذا الخلاف ... أمَا نصحتِ له بأن ينتحىَ برجاله جانباً ويدَعَنا نمرُّ بسلام ؟ !

عبلة : أنصَحُ له أن يُقصيَك ورجالَك ...

« تخاطب الأمير عمارة » : لن يمرُّوا قبلَنا .. لن تتقدمَ ركبَ عُرْسِى هذه الشَّرْذِمَةُ التى يسوقُها عَنترة !

عُمارة : لن يمرُّوا قبلَنا أبدا ...

عنترة « يصيح برجاله » : اسبِقُوا إلى الطريق ... لايصدُّكُمْ عنه أحد . إن الوقتَ قد أزِف ...

عبلة « للأمير عمارة » : آشْهَرْ عليهم السيف !

عُمارة « مجرداً سيفه من غمده » : سيكون هذا بيننا حَكَماً !

عنترة : تُريد قِتالى ؟!

عُمارة : إنى مبارزُك ... آحمِ نفسَك ...

عنترة : إنى لأرْثِى لك !

« يجرد حسامه من غمده » سأُمْهِلُك بعضَ الوقت لتتروّى فى الأمر .

عُمارة : قلتُ لكَ آحمِ نفسَك !

عنترة : يا عمارة ... مازلتَ غضَّ الإهاب ، ولك عَرُوسٌ حسناء !

عمارة : لاتزدْ ، وإلّا اخترمَك سبني ، ولاتَ ساعةَ مَنْدَم !

عبلة « للأمير عمارة » : لافُضَّ فُوكَ ياحبيبي !

عنترة : برَغْمِي أُنازِلُك ، وبرغمي سأقتُلك ، وأُشْهِد ربي على ذلك !

« يلتقي الفارسان في مبارزة مروعة ...

سرعان مايهجم عنترة على خصمه هجمة قوية ...

عبلة تراقبهما مزهوة بأنهما من أجلها يقتتلان ! ...

عنترة يطعن الأمير عمارة في كتفه ...

يسقط السيف من يد الأمير عمارة ويترنح في وقفته ...

عبلة تصيح ...

يسرع عنترة إلى الأمير عمارة ويتلقاه بين ذراعيه ، ثم يقول » :

أأصبتُ منكَ مَقْتَلا ؟

« يكشف عن الجرح ، ثم يغمغم » : جُرح كبير ، ولكنه ليس بالخطير !

« الأمير عمارة مغمى عليه ... عنترة يخاطب رجال الأمير عمارة » :

إن أميركم جريح ، وجُرْحُه يتطلَّب حسنَ عناية وسرعةَ علاج ... هلمُّوا فاحملوه !

« يتقدم بعض أتباع الأمير عمارة فيحملونه » :

عُودوا من حيث أتيتم ، وخَلّوا وجهَ الطريق !

« ينصرف رجال الأمير عمارة به ويخلون البقعة لعنترة ورجاله ... عنترة يخاطب رجاله » :

أما أنتم فاسبِقُوا إلى بَطْنِ الشِّعَب ... سألحق بكم بعد هُنَيْهَة ...

« رجال عنترة يشيرون إشارة الطوع ، وينصرفون ... عبلة تلم شعثها وتهم بالخروج في أثر جماعة الأمير عمارة ... عنترة يخاطبها » :

إلى أين ؟

عبلة : أَلْحَقُ بخاطبي الجَرِيح ...

عنترة : لديه من يُعْنَى به ...

عبلة : إنه فى حاجةٍ إلىّ ...

هند « منغمة » : إنه فى حاجةٍ إلى طبيب !

عنترة « لعبلة » : سيُشْغَل عنكِ بجُرحه ...

عبلة : إنه يحبنى، ولن يشغلَه عنى شىء !

عنترة : أنتِ واهمة ...

عبلة : وأنا أحبُّه أيضاً ...

هند : لاأصدِّق ... !

عنترة : لعلك تريدين أنك تُشْفِقِين عليه ... إن الفارسَ المهزومَ لا يُحَبّ ...

هند : أَمْقُتُ المهزومين !

عبلة : أُحبّه، وأريد أن أُعْنَى بجرحه ...

« تهم بالمضى، فيتصدى لها عنترة واقفاً فى طريقها، فتقول » : دعْنى أنصرف !

عنترة : أنسيتِ ياحسنائى أنكِ أصبحتِ سَبِيَّتى ؟

« عبلة تقف أمامه عاقدة يديها على صدرها »

عبلة : أنا سَبِيَّتُك ؟ !

هند « متطلعة إلى عنترة فى سرور » : وأنا ؟ !

عنترة : أتقبَلينَ أن تكونِى سَبِيَّتى ياهند ؟

هند : إنه لشَرَفٌ ياعنترة ...

عنترة : أنتِ فتاةٌ رقيقةُ العاطفة !

عبلة : أعلمُ أنى لستُ رقيقةَ العاطفة ... لن أرضى أن أكونَ سَبِيَّةَ أحد ...

عنترة : لايطلبُ رضاءَك أحد ... لقد نلتُكِ سَبِيَّة فى قتالى مع الأمير ، وستظلّينَ فى أَسْرِى !

عبلة « تحدق فيه برهة صامتة ، ثم تقول » : وماذا أنتَ صانعٌ بى ؟

عنترة : لن أضمَّكِ إلى جَوَارِىّ ... سأبيعُكِ !

هند : أَرْضَى أن أشترِيَها منك ...

عنترة : ولماذا ترغَبين فى شرائها ؟

هند : لِأَهَبَكَ إيَّاها !

عبلة : أُوثِرُ أن أُباعَ فى الأسواق ...

عنترة : هذا ما اعتزمتُ صُنعَه !

هند : وهل تساوِى كثيراً ؟

عنترة « يدور حول عبلة متفحصا ، ثم يقول » : لا أظنّ !

عبلة : ولماذا تبيعُنى إذن ؟

عنترة : لارغبةَ لى فى الإبقاءِ عليك ... إن خِبَائِى يَغَصُّ بالجوارى !

هند « فى مداعبة » : قد تنفعُك ! ... إنها ماهرةٌ فى كلّ شىء ... فى حَلْبِ النياق وصُنْعِ المَجِيع وعَمَلِ الثَّريد ...

عبلة : إن عنترةَ ليس فى حاجة إلى من يحلُب نياقه ، فهو ماهر فى حَلْبها ... كان يحلبُها ويأتِينى كلَّ صباح بلَبَنها ... !

عنترة : أنا ؟

هند : لاتستطيعُ الإنكار ... أنا شاهدةٌ عليك !

عنترة : كان ذلكِ فيما مَضى ...

عبلة : والآن ألا ترضى أن تحلُبَ لىَ النِّياق ؟

عنترة : لن أحلُبَ نياقاً لأحد ... قلتُ لكِ سأبيعُكِ !

هند : وهل يرضى قلبُكَ بهذا ؟

عنترة : يرضى ... يرضى ...

هند : وحبُّكَ لها ؟ !

« يقدم فارس »

الفارس « لعنترة » : إن الجيشَ على أتمِّ أُهبَة ... والوقت قد أزِف .

عنترة : آبدَءُوا السير ... وأحضِرُوا هَوْدَجَ عبلة ...

الفارس « ينادى » : هودَج عبلة ...

« يظهر هودج عبلة محمولا على جمل ... يناخ الجمل على مقربة من عبلة »

عبلة : إلى أين أنتَ ذاهبٌ بى ؟

عنترة : سآخذُكِ معِى فى غَزْوِ بنى فَهْد ...

عبلة : أرغَبُ فى العودة ...

عنترة : ستُطيعين أمرى !

عبلة : لا أمرَ لأحدٍ علىَّ !

« تتحفز للهرب ، فيمسك بها عنترة ، ويحملها إلى الهودج ، فتصيح وتحاول الانفلات منه ... »

عنترة : لن تُفلتى منى ، ألم أقلْ لكِ إنك أصبحتِ أسيرتى ، سَبِيَّتِي؟

عبلة « وهى بين ذراعيه ، تحاول التخلص منه » : دعْنى ... دعْنى ...

إن ذراعيكَ تَدُقَّانِ عِظامى ... !

عنترة : سأروضُكِ على أن تكونى أسيرتِى ...

« يضعها فى الهودج ... هند تدخل وراءها ... عنترة يصيح : »

قِياماً ... قياماً ...

« ينهض الجمل ...

عنترة يصيح » :

إلى بنى فَهْد !

ختام

الأبيات فى هـذه القصة مقتبسة من الشعر القـديم ، إلا أنشودة عنترة لعبـلة التى مطلعها : « أنت للعين ضياء » فقد نظمت لهذه القصة خاصـة .

كتب المؤلف

١ – فى العربية

الوثبة الأولى	مجموعة قصصية – دار النشر الحديث	– القاهرة ١٩٣٧
أبو على عامل أرتيست	» » – المطبعة السلفية	– القاهرة ١٩٣٤
الأطلال	» » » »	» ١٩٣٤
الشيخ عفا الله	» » » »	» ١٩٣٦
قلب غانية	» » – دار النشر الحديث	» ١٩٣٧
فرعون الصغير	» » – مطبعة المعارف	» ١٩٣٩
نداء المجهول	رواية قصصية – الطبعة الأولى – دار المكشوف	– بيروت ١٩٣٩
	الطبعة الثانية – مطبعة المعارف	– القاهرة ١٩٤٢
مكتوب على الجبين	مجموعة قصصية – مطبعة المعارف	– القاهرة ١٩٤١
نشوء القصة وتطورها	محاضرة – المطبعة السلفية	– القاهرة ١٩٣٦
ثلاث مسرحيات	باللغة العامية – الناشر محمد حمدى	– القاهرة ١٩٤١
عروس النيل	مسرحية غنائية بالعامية » »	» ١٩٤١
المخبأ رقم ١٣	مسلاة فى ثلاثة فصول » » »	» ١٩٤٢
حورية البحر	مجموعة قصص للطلبة – دار المكشوف	– بيروت ١٩٤١
قال الراوى	مجموعة قصص للنشء والأسرة – المكتبة التجارية الكبرى	– القاهرة ١٩٤٢

عوالى	مسرحية عربية بالفصحى - المكتبة التجارية الكبرى -	القاهرة ١٩٤٢
سهاد أو اللحن التائه	مسرحية عربية بالفصحى - مكتبة عيسى البابى الحلبى -	القاهرة ١٩٤٢
المنقذة وحفلة شاى	مسرحيتان - دار الكتب الأهلية -	القاهرة ١٩٤٣
قنـابل	مسلاة مصرية بالفصحى - لجنة النشر للجامعيين -	القاهرة ١٩٤٣
أبو شوشة والموكب	مسرحيتان بالفصحى - مطبعة التقدم -	دمشق ١٩٤٣
بنت الشيطان	مجموعة قصصية - مطبعة المعارف -	القاهرة ١٩٤٤
عطر ودخان	صفحات ساخرة فى نقد الحياة والمجتمع	
	لجنة النشر للجامعيين -	القاهرة ١٩٤٥
فن القصص	فصول جامعة لأصول القصص الفنى ، مع نخبة من أحدث أقاصيص المؤلف	
	الناشر : الشرق الجديد -	القاهرة ١٩٤٥
حواء الخالدة	مسرحية تحليلية -	القاهرة ١٩٤٥
كليوبترة فى خان الخليلى	قصة اجتماعية عصرية مطولة -	القاهرة ١٩٤٦

ب - فى الفرنسية

غراميات سامى	مجموعة قصصية - جماعة الكتاب المعاصرين -	باريس ١٩٣٨
حلم سمارا	مجموعة قصصية - منشورات هوروس -	القاهرة ١٩٤٢
بنت الشيطان	مجموعة قصصية - منشورات مجلة القاهرة -	القاهرة ١٩٤٣

ج - فى الألمانية

مجموعة قصص (اختارها وترجمها المستشرق السويسرى الدكتور ويدمار)

شفاه غليظة

مجموعة قصص جديدة للمؤلف

تصدر قريبا

صدر حديثاً كتاب

محمود تيمور

رائد القصة العربية

تأليف نزيه الحكيم

دراسة تحليلية للاتجاهات الأدبية فى آثار ذلك القاص المصرى

يطلب من المكتبات الشهيرة وثمن النسخة عشرة قروش

DATE DUE

JAFET LIB.
31 JUL 2002
Circulation Dept.

JAFET LIB.
15 APR 2009
Circulation Dept.

892.7
T24hA:c.1
تيمور، محمود
حواء الخالدة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01038873